مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨

الأدب العالمى للناشئين

# هى أو عائشة

تأليف : سير هنرى رايدر هاجارد



# هي أو عائشة

تأليف: سير هنري رايدر هاجارد

ترجمة: صلاح عز الدين

مراجعة: مختار السويفي




# مهرجان القراءة للجميع ٩٨

## مكتبة الأسرة

## برعاية السيدة سوزان مبارك

## (روائع الأدب العالمى للناشئين)

هى أو عائشة

تأليف: سير هنرى رايدر هاجارد

ترجمة: صلاح عز الدين

مراجعة: مختار السويفى

الغلاف: للفنان جمال قطب

الإشراف الفنى:

للفنان محمود الهندى

المشرف العام

د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

## مقـدمة



ومازال نهر العطاء يتدفق، تتفجر منه ينابيع المعرفة والحكمة من خلال إبداعات رواد النهضة الفكرية المصرية وتواصلهم جيلاً بعد جيل. ومازلنا نتشبث بنور المعرفة حقاً لكل إنسان ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة فى كل بيت.

شبَّت التجربة المصرية «القراءة للجميع» عن الطوق ودخلت «مكتبة الأسرة» عامها الخامس يشع نورها ليضيء النفوس ويثرى الوجدان بكتاب فى متناول الجميع ويشهد العالم للتجربة المصرية بالتألق والجدية وتعتمدها هيئة اليونسكو تجربة رائدة تحتذى فى كل العالم الثالث، ومازلت أحلم بالمزيد من لآلىء الإبداع الفكرى والأدبى والعلمى تترسخ فى وجدان أهلى وعشيرتى أبناء وطنى مصر المحروسة، مصر الفن، مصر التاريخ، مصر العلم والفكر والحضارة.

**سوزان مبارك**

# على سبيل التقديم

تواصل مكتبة الأسرة ٩٨ رسالتها التنويرية وأهدافها النبيلة بربط الأجيال بتراثها الحضارى المتميز منذ فجر التاريخ وإتاحة الفرصة أمام القارئ للتواصل مع الثقافات الأخرى، لأن الكتاب مصدر الثقافة الخالد هو قلعتنا الحصينة وسلاحنا الماضى فى مواكبة عصر المعلومات والمعرفة.

**د. سمير سرحان**

# مقدمـــة

يتميز الأديب الانجلـيزى العظيم « ســير هنرى رايدر هاجارد » بالخيال الخصب والقدرة الفائقة على نسج الأحداث المثيره ، وخلق الشخصيات الروائية ذات الجاذبية الشديدة .

واذا بدا القارىء فى قراءة الســطور الأولى من اية.رواية من رواياته الشهيرة ، فلا يستطيع أن يبعد

عينيـه عن السطور التاليـة ، ولا يستطيع ان يؤجل القراءة الى وقت آخر ، او يتوقف عند فصل معين .. ولا يملك الا ان يواصـل القراءة الممتعة حتى آخر كلمة ، مسحورا بالأسلوب البسيط الآسر ، وبالأحداث المتلاحقة المبهرة التى تأخذ الألباب .

وقد فطنت السينما العالمية الى تلك الخاصـية الديناميكية التى يتميز بها « الحـدث » فى أعمال هذا الأديب القـدير ، فاخرجت معظم رواياتـه فى افـلام ضخمـة حازت شهرة عالميـة ، وما زالت تلقى نفس الرواج والاقبال الذى لاقته منذ انتاجهـا لأول مرة منذ عشرات السنين .

ولد **هنرى رايدر هاجـارد** فى برادنهـام هول بمدينة نورفولك بانجلترا فى ٢٢ يونيو سنة ١٨٥٦ ، ومات فى لندن فى ١٤ مايو سنة ١٩٢٥ عن عمر يناهز السبعين عاما ، قضاها فى حيـاة حافلة بشتى المشاغل والهوايات .. فمن ممارسة مهنـة المحاماة الى تقلد الوظائف الحكومية ، الى ممارسة حرفة الزراعة التى الف فيهـا كتبـا .. الى أن أدركتـه حرفـة الأدب

فمارسها كهواية ابدع فيهـا مجموعـة من الروايات الشهيرة التى صدرت منها عشرات الطبعات .. واغلب الظن أنها ستجد طريقها الى المطـابع مرات أخرى ومرات ، لتصدر بمختلف اللغات التى ترجمت اليها فى المـاضى ، وستترجم اليها فى المستقبل .

وقد عمل **هنرى رايدر هاجارد** فترة طويلة من حياتـه بالادارة القانونيـة لاقليم الترنسفال بجنوب افريقيا ، حين كان هـذا الاقليم خاضـعا للاستعمار البريطـانى .

ولذلك فلم يكن من الغريب ان نرى معظم رواياته الأدبية تدور أحداثها فى افريقيا .. ولم يكن غريبـا ايضا ان يؤلف كتابا عن أساليب وتاريخ الاسـتعمار فى افريقيا .. وقد منح لقب « سـير » فى عام ١٩٢٥ تقديرا لخدماته للامبراطورية البريطانية .

ولعل أشـهر رواياته التى يعرفهـا قراءة الأدب واحبابه فى مختلف انحـاء العالم روايات : « **الفجر** » ١٨٨٤ .. و « **كنوز الملك سليمان** » ١٨٨٥ ..

و « **هي أو عائشة** » و « **نجمة الصباح** » ١٨٨٧ .. بالاضافة الى رواياته وكتبه الأخرى الأقل شهرة مثل « **كيتويو وجيرانه البيض** » ١٨٨٢ .. و « **ايريك برايتيس** » ١٨٨٣ .. و « **ابنة مونتزوما** » ١٨٩٣ .. و « **شعب الضباب** » ١٨٩٤ .. و « **سوالو** » ١٨٩٨ .. و « **ابن العاطفة** » ١٩٠٣ .. و « **آلان العجوز** » ١٩٢٠ .. و « **هي آلان** » ١٩٢١ ، فضلا عن مؤلفاته الزراعية والتاريخية والسياسية مثل « **انجلترا والزراعة** » ١٩٠٢ .. و « **الدنمارك والزراعة** » ١٩١١ .. وكتاب « **الفقير والأرض** » وكتاب « **أيام حياتي** » الذى سجل فيه ذكرياته وتفاصيل حياته الحافلة . وقد صدر هذا الكتاب الأخير سنة ١٩٢٦ أى بعد نحو عام من وفاته .

**« رئيس التحرير »**

## ( ١ ) كيف وصلتنى هذه القصة

كنت اسير ، ذات يوم ، فى شارع فى مدينة كمبريدج ، مع صديق ، عندما لاحظت رجلين يتقدمان نحونا ، وقد تابط احدهما ذراع الآخر .. وكان الفتى فى الواقع اروع شاب رأيته فى حياتى ، طوله ستة اقدام ، ووجهه كامل الجمال . وعندما رفع قبعته

تحية لسيدة كانت تمر بجانبه ، رأيت أن شعر رأسه كان ذهبيا فاتحا .

**وقلت لصديقى :** يا له من رجل رائع المظهر .. :

**واجـاب :** نعم نعم .. انه أبهى شاب فى الجامعة وواحد من أفضلهم .. الآخرون يطلقون عليه اسم « الالـه الاغـريقى » .. الا ان اسـمه الحقيقى هو « فينسى » . ولكن انظر الى الرجل الآخر .. ان اسمه « **هوللى** » وهو مربى « **فينسى** » .. وله الولاية على الشاب حتى يبلغ الخامسة والعشرين من العمر .. بعض النـاس يطـلقون عليهمـا اسـم « **الوحش والجمال** » !

نظرت الى الرجل الأكبر سنا .. كان فى حوالى الأربعين من العمر ، قبيحا دميما ، بقدر ما كان الآخر جميلا رائعا .. كان قصيرا متين البنيان .. وكانت ذراعاه بالغتى الطول .. وكان شعره داكنا وعينـاه جد صغيرتين . واذا نظرت اليه خطر على بالك فورا ذلك القرد الضخم المعروف باسم « **السعدان** » قصير

الذيل قبيح المنظر .. الا أن شـيئا ما فى عينيه كان يجذبك اليه على الفور ويحببك فيه .

**قلت لصديقى :** انى أحب أن التقى بهما !

فقادنى صـديقى اليهما وبقينا نتـكلم مدة .. تكلمنا عن افريقيا لأنى عدت توا من هنـاك .. وعندئذ فقط مرت بنا سيدتان وكان واضحا ان « **فينسى** » يعرفهمـا ثم حـدث شيء غريب ؛ فبينما اسـتدار « **فينسى** » ليكلم السيدتين ، توقف « **هوللى** » عن الكلام واستدار وعبر الشارع وبدا واضحا انه كان يخاف السيدات كما يخاف معظم الناس من حيوان مجنون . !

وفى عصر ذلك اليوم غادرت كمبريدج ، ولم أفكر كثيرا فى هـذا الأمر لمدة سنوات عديدة .. ثم تلقيت فقط منذ شهرين تقريبـا خطابا ، وعندما نظرت فيه ووجدت ان اسم مرسله « **هوراس هوللى** » استغرقنى ذلك بعض الوقت حتى أتذكـر ذلك الرجـل ! ..

**ويقول الخطاب :**

سـيدى ..

قابلتك منذ خمسة أعوام فى شارع من شـوارع كمبريدج . وكنت حينئذ مع « **ليوفينسى** » وكنت ، منـذ بعض الوقت ، قـد قرات كتبـك « **كنوز الملك سليمان** » و « **آلان كووترمين** » .. انهما طبعا من قصص الرحلات والحوادث الغريبة فى افريقيا .

والقصتان فى جانب منهما واقعيتان وخياليتان فى الجانب الآخر .

انى أرسل اليك هنا حزمة من الأوراق تروى لك أشياء حدثت لنا ، انـا و « **ليوفينسى** » وكانت هذه الأشياء جد غريبة بحيث ارجو ان يمكنـك أنت أن تصدقها .. هذا وانـا « **وليوفينسى** » متفقان على أن القصـة يجب أن تنشر على الناس . ونحن على وشك أن نغادر لغرض سيمكنك طبعا أن تخمنه بعد أن تقرأ قصتنا وتشرف على طبعها . كما أرسل اليك الخاتم والقطعة المهشمة من الابريق الذى تتحدث عنه الأوراق ..

ليس لدى أشـياء أضيفها الى ما هو مكتوب هنا . من كانت (( هى )) ؟ من اين أتت ؟ كيف جاءت الى كهوف (( كور )) ؟ .. لم نعرف أبدا الاجابة على هذه الأسئلة ؟ .. وربما لن نعرف أبدا أو ربما .. اننا ، كما قلت ، ذاهبون فى رحلة . وارجوك أن تتولى هذه الأشياء حتى نسأل عنها ثانيـة ، اذا عدنا ..

**المخلص (( ل. هوراس هوللى ))**

هذه هى القصـة التى وصلتنى على هذا النحو الغامض ..

**(( هـ. رايدر هاجارد ))**

# ( ٢ ) كيف جاء الصندوق الحديدى الى هوللى

انــا « **لودفيج هوراس** » كنت جالسا ذات ليلة فى غرفتى بكمبريدج منذ عشرين عاما مضت .. وكان الوقت متأخرا ليلا ، وكنت اعلم اننى سأؤدى امتحانا فى بحر اسبوع لو نجحت فيه لأمكن لى أن اصبح مدرسا فى الجامعة .. وكنت عند ذاك ، كما انا الآن ، رجلا بلا اصدقاء ! .. اننى ، كما اعرف جيدا ، انسان .

قبيح دميم الشكل . نعم ، ان لى جسما قويا الى درجة غير عادية الا أن شكلى ومظهرى جعلا الناس يطلقون على اسم القرد (( **السعدان** )) وجعلنى هـذا أخاف النسـاء جميعا . على اننى مع ذلك لست مولعا بصحبة أقرانى من الرجال .

فى تلك الأيـام عندما كنت أدرس فى كامبريدج كان لدى اصـدقاء قليلون ، ومن بين هؤلاء كان هناك شـخص اسـمه (( **فينسى** )) .. وكان ــ ويا الغرابة لهذا .. ! ــ من ابهى الرجال الذين سبق لى رؤيتهم .

وجلست استذكر دروسى متأخرا ذات ليـلة فسمعت طرقة خفيفة على الباب . وكانت ليلة شديدة البرودة . وتذكرت حينئذ أن صديقى (( **فينسى** )) كان مريضـا وظننت انه ربمـا يكون هو فأسرعت افتح البـاب ..

وكان فعلا هو (( **فينسى** )) ،ويكاد يقع أرضا من الضعف ، وكان وجهه شـديد البياض مشـدودا من

الألم وكان هناك خيط رفيع دقيق من الدم يسيل من فمه . وكان يحمل صندوقا ثقيلا من الحديد ..

وضع الصندوق جانبا ثم تهاوى فى مقعده ؛ وظل دقائق لا يستطيع الكلام .. وصببت بعضا من النبيذ وقدمت الكأس اليه . ولما شربه بدا افضل حالا الا أنه كان فعلا رجلا مريضا ..

**قلت** : دعنى اذهب فأحضر لك طبيبا !

**واجاب** : كلا يا (( **هوللى** )) .. لقد انتهيت ! ولن يكون فى مقدورى أن اراك غدا ! .. وما من طبيب يستطيع أن يساعدنى .. ! والآن انظر الى بدقة واصغ الى جيدا فانك لن تسمعنى أتكلم ثانية . لقد كنا أصدقاء مدة طويلة .. قل لى .. ماذا تعرف عنى ؟

ـ اعرف أنك غنى .. وأنك جئت الى الجامعة عندما أصبحت أكبر من معظم الفتيان هنا .. واعلم أيضا أنك كنت متزوجا .. وأن زوجتك ماتت .. واعلم كذلك أنك كنت ايضا افضل صديق لى .. !



وسقط على كرسيه ..

ـ هل عرفت أن لى ابنا .. ؟

ـ كـلا .. !

ـ نعم ، لدى ابن . انه فى الخامسة من عمره . ماتت امه عندما ولد . ومن اجل ذلك لم اعد ارغب فى رؤيته .. ! (( **هوللى** )) ! .. انى اريد ان أجعلك وليا على ابنى !

قفزت من مقعدى قائما **وهتفت قائلا** : انا . ! ؟

ـ نعم . لقد كنت ابحث عن شخص أعهد اليه بابنى .. وبهـذا الشىء ! واشـار الى الصـندوق الحديدى .. وانت ذلك الرجل يا (( **هوللى** )) .. انت قوى وامين وعطوف ! .. اسمع .. ان هـذا الولد سيكون آخر شخص باق من اقدم العائلات فى العالم ! قد تضحك على ما اقول الآن ! .. ولكن فى يوم من **الأيـام** سيثبت لك فوق كل شىء اننى من سـلالة خمسة وستين جيلا من **الأجيـال** المتعاقبـة ، بدأها قديما جندى اغريقى كان يعمل فى خدمة فرعون ملك مصر القديمـة . وكان اسـمه (( **كاليكريتس** )) ..

و (( **كالى** )) كما تعلم ، كلمة يونانية معناها (( **جميـل** ))
و (( **كريتس** )) معناها (( **القوة** )) .

ان ابن هـذا الجندى قد اصبح كاهنـا للربة
ايزيس . وكان ذلك منذ حوالى الفى عـام مضت .
ووقع الكاهن فى حب أميرة من اسرة فرعون . وترك
هو والأميرة بلاد مصر سرا ، وهربا على ظهر سفينة ..
ودفعت الريح بسفينتهما الى ساحل افريقيا . وقتل
جميـع من كانـوا على ظهرها ســوى كاليكريتس
والأميرة ثم انقذتهما ملكة بيضاء جميلة تحكم شـعبا
من المتوحشين .. !

وعاشـا فى منزلها .. وسـتعرف القصـة من
الوثائق الموجودة فى هذا الصندوق ، وستعرف ايضا
ان هذه الملكة قد قتلت كاليكريتس ، وان الأميرة فرت
بطفلها الى اليونان ..

ان الطفل واطفـاله واطفالهم قد حملوا جميعا
اسم (( **فنديكس** )) وهو اسم لاتينى معنـاه المنتقم ،
وهو الذى سيتولى تخليص الحق من فاعل الجرم .

وتحركت العائلة ، كمـا مضت السـنون ، من

اليونان الى روما .. ومن روما الى فرنسا .. ومن فرنسا الى انجلترا .. وتحول اسم « **فينديكس** » نفسه الى « **فينسي** » .

ان الأشياء التى داخل هذا الصندوق قد انتقلت من الأب الى الابن .. ثم اعطاها ابى لى .. وكان الأمل دائما هو ان يقوم واحد منهم ، فى وقت ما بهذا الانتقام من جريمة القتل التى وقعت منذ مئات الأعوام على يد الملكة البيضاء فى افريقيا . لقد حاولت انا ان اقوم بواجبى . حاولت أن اعثر على المكان الموصوف فى ذلك الصندوق ولكنى لم اظفر بنجاح .

وفى طريق عودتى من افريقيا التقيت بزوجتى ، وماتت وهى تلد ابنى « **ليو** » .. ثم استدرت انا عائدا الى العمل ثانية وفكرت قبل ان اذهب الى افريقيا من جديد أن أتعلم اللغة العربية .. ولهذا جئت الى هنا ، الا ان الوقت الآن قد تأخر .. !!

واستطعت ان ارى انه على حق . ان الوقت متأخر فعلا . واذ رقد هو على ظهر مقعده فاقد

الأنفاس بعد أن تكلم حتى هذا المدى ، فقد اصبحت شفتاه بيضاوين .. كما كانت علامات الموت تبدو واضحة على وجهه .. !

واخيرا تكلم من جديد ..

ـ انى اسألك أن تتولى أمر ابنى « **ليو** » عندما أموت .. وعلى هذه الورقة كتبت الأشياء التي أحب ابنى « **ليو** » أن يتعلمها .. وعندما يصل الخامسة والعشرين من العمر ، افتح هذا الصندوق .. دعه يرى ما فيه ويقرأه وان يقرر ما اذا كان على استعداد للقيام بالواجب الملقى عليه .. هل تفعل هذا من أجلى اذن ؟ .. انى أتوسل اليك وانا على وشك الموت ان تقبل منى هذا الطلب !

ـ وكيف أستطيع أن ارفض هذا الطلب !!!

ـ وداعا يا صديقى !

قال هذا وهو يأخذ بيدئ .. ثم خرج الى المدينة المظلمة ..

بدت قصته أغرب قصة وقعت لى وحوادثها أكثر الأشياء التى سمعت جنونا . ! ولكنه كان صديقى ولم يكن بد من أن يتولى شخص أمور هـذا الطفل الذى كان عمره خمسة أعوام فقط .

وبقيت انـا غير قادر مدة طويلة على النـوم وفكرى كله يدور حول هذا الأمر وأتساءل عما اذا كنت قد فهمت تماما ..

وبدوت كأننى كنت نائما لمدة خمس دقائق فقط عندما سمعت صوت خادمى يدعونى **فقلت :**

ـ ما الأمر يا « **جون** » ؟

سألته عندما رأيت وجهه قد ابيض تماما وبدا فى عينيه أن شيئا قد اخافه **فقال :**

ـ ذهبت لأنادى المستر « **فينسى** » .. وهنـاك وجدته راقدا .. وقد مات !

# (٣) ليو .. يكبر وينمو

اخـذت الصـندوق الحديـدى معى الى لندن ووضعته فى خزانة الحفظ .

ووجدت منزلا ملائما لى وللصبى فى كمبريدج . وطبعا لم ارد ان تكون فى المنزل امرأة .. لقد كان الولد اكبر سنا من ان يحتـاج الى امرأة .. وبشىء من الصعوبة وجدت رفيقا شابا اسمه (( **جوب** )) كان

أكبر أفراد عائلة تتكون من ثلاثة عشر عضوا .. وبذلك كان قد اكتسب الكثير من التجارب فى رعايته لاشقائه وشقيقاته الصغار ..

واخيرا وصل الطفل فى صحبة امرأة بكت عندما تركته . كان أجمل طفل وقعت عليه عيناى . كان وجهه شديد الشبه بوجه أبيه ، وكان له نفس الشكل المتكامل وعلى راسه شعر ذهبى ناصع ، واذكر جيدا كيف وقف هناك وضوء الشمس الهابط من النافذة يلهو بشعره . كنت جالسا فى مقعدى .. وكان « **جوب** » واقفا فى الركن ممسكا بحصان خشبى فى يده ..

وقف الصبى ونظر الى ثم مد يده وجرى نحوى **قائلا** :

ـ انى احبك .. انت دميم الشكل .. ولكنك طيب القلب !

**نما الطفل « ليو »** وأصبح صبيا ، ثم أصبح الصبى شابا ، واذ اخذ ينمو فقد نما معه جماله ونمت

قوتــه ، واتبعت بحرص ودقــة اوامر والده حــول مدرسته وتعليمه . تعلم اليونانية والعربية ، وتعلمت أنــا أيضا العربية حتى اصبح رفيقا له .. وعندما وصل الثامنة عشرة من العمر ذهب الى الجامعة وبعد ذلك درس القانون ..

كان امامي شيءواحد اتعبني فيه (( ليو )) اثناء كل هــذا الوقت ، ذلك أن كل امرأة راتــه وقعت في حبه .. وسبب لنا هذا بعض الصعاب الا انه ، على اى الأحوال ، كان شابا طيبا جــدا ، أكثر اهتمــاما بالرياضة ودروسه ورفاقه الرجال منه بالنساء .. فكان كل شيء في النهاية خيرا وعلى ما يرام .. وهكذا حتى احتفلنا بعيد ميلاده الخامس والعشرين ..

# ( ٤ ) فتح الصندوق الحديدى

فى اليوم السابق على عيد الميلاد الخامس والعشرين ، ذهبنا الى لندن وعدنا بالصندوق الى كمبريدج .. وقررنا أن نفتحه بعد الافطار غداة اليوم التالى على يوم ميلاده .

وعلى ذلك فانه بعد الافطار أحضر « جوب »

الصندوق الى غرفة الجلوس وكان على وشـــك مغادرة الحجرة فقلت « انتظر لحظة » يا « **جوب** » .. اذا لم يكن يضيرك هذا يا « **ليو** » فانى أحب أن يبقى « **جوب** » معنا . يجب أن يكون هناك شخص ثالث ليرى أن كل شيء صحيح ..

قال « **ليو** » : نعم بالطبع دعه يبقى معنا !

أخذت المفاتيح التى اعطانيها ابو « **ليو** » ليـــلة موته ، من هـــذا الصـــندوق الذى يحتوى على أثمن المملوكات .. كان هناك ثلاثة مفاتيح ، واحد منهـــا حديث والثانى من طراز قديم .. أما الثالث فلم يكن يشبه أبدا مفتاحا رأيته من قبل .. كان قضيبا من الفضـــة بقطعات على طرفه ومثبتا عرضيا بقضيب فضى آخر .

اخذت المفتاح الأول وفتحت الصندوق الحديدى وساعدنى « **ليو** » على ازاحة الغطـــاء الثقيل .. وفى داخله كان هنـــاك صندوق آخر مصنوع من الخشب

الأسود . وكان عمره فيما يبدو كبيرا ذلك أن الخشب الجاف الثقيل قد تآكل وتحول الى تراب ..

واخـذت المفتـاح الثـاني وفتحت الصـندوق الأسود وبداخله كان يوجد صندوق فضي يبلغ حجمه اثنتي عشرة بوصة وارتفاعه ثماني بوصات . وكان مغطى برسوم مصرية قديمة ومنحوتا نحتـا جميـلا من المعدن . أخذته ووضعته على المنضدة ثم فتحته بالمفتاح الفضي الغريب الشكل .

داخل الصندوق الفضي كانت هناك قطعـة من الورق مكتوبة بخط صديقي المتوفى يقول : الى ولدى « ليو » .. وبعد ذلك تناولت لفافة من الورق كتب على قمتها : الترجمة الانجليزية للكتابة الاغريقية على الابريق ..

وتحت هذا كان هناك شيء مربوط فى قطعـة من قماش اصفر . فتحت قطعة القماش ووجدت فى داخلها قطعة محطمة من ابريق كبير . وفى داخل هذه القطعة المحطمة رايت كتابة كثيرة . وتمت الكتابة بأيد

عديدة مختلفة وبلغات متباينة ولكن الجزء الخارجى قد غطى بقدر كبير من الكتابة المتزاحمة وكلها بلغة أعرف أنها الاغريقية .. وفى وقت ما انكسر وتحطم الى قطعتين ثم ضما معا مرة ثانية ..

سأل « ليو » : هل هناك شيء آخر ؟

وتحسست قاع الصندوق وجذبت شيئا ثقيلا جافا موضوعا فى حقيبة . وعثرنا على خاتم مزين بحجر كبير داكن اللون وعلى الحجر ثلاثة رسوم محفورة عليه ..

كانت هذا الرسوم كتابة مصرية معناها « ابن رع » ، و « رع » هو اله الشمس . وفى نفس الحقيبة كانت صورة أم «ليو» الاغريقية قد كتب خلفها : « زوجتى العزيزة » .

وقلت : هذا كل شيء » !

وضع « ليو » صورة امه وقال : « فلنقرا الخطاب » !



**الكتابات على القدر ..**



**الكتابات على الخاتم ..**

« ولدى ليو ..

عندما تفتح هـذا الخطاب سـتكون قد بلغت الخامسة والعشرين .. وسأكون أنـا قد بلغنى الموت ونسينى كل من عرفونى .. وسيكون « **هوللى** » قـد أخبرك بالقليل عن تاريخ الأسرة المـاضى . وفى هـذا الصندوق ستجد قصـة جدا غريبة كتبتها مرة منذ وقت طويل على قطعـة محطمة من ابريق اغريقى .. اخبرنى أبى بهذه القصة عندما كنت فى التاسعة عشرة من عمرى وخرجت استقصى لأكتشف ما اذا كانت القصة واقعية . وذهبت الى ساحل افريقيا ، شمال مصب نهر زامبيزى .. انهـا جزء معروف للقـلائل ولا يزورها أحد تقريبا وفيها تبدو صخرة كبيرة تشبه راس رجل افريقى . ومثل هـذا التل موصوف فى الكتابة الموجودة على الابريق ..

وصلت الى هناك وقابلت رجلا طرده أهله بسبب خطـأ ارتكبه **وقال لى :**

ـ بعيدا هناك داخل الديار يوجد بلد فيه جبال شكلها كالأكواب .. وهناك عدد من الكهوف الكبيرة ..

وحول هذه البلاد توجد أرض منخفضة تبتلع الرجال الذين يحاولون عبورها .. الا اذا كانوا يعرفون ما فيها من ممرات آمنة . وفى تلك الجبال والكهوف يعيش شعب يتكلم العربية وتحكمه امراة بيضاء جميلة ولا يرونها الا نادرا وهى ذات سلطان كامل ، على كل الناس والأشياء ، الحى منها والميت .. !

كان الرجل مريضا جدا عندما قال لى هذا .. ومات بعد يومين ، وسقطت انا أيضا مريضا .. واضطررت الى العودة الى سفينتى .. وفى طريق عودتى الى انجلترا وقفت باليونان .. وهناك التقيت بوالدتك ..

إعتقد أن هذه القصة مكتوبة على ابريق محطم . وهى قصة حقيقية .. واعتقد كذلك ان هناك طريقة يمكن بها أن نجعل شعبا يعيش ويعيش .. الى الأبد .. !

قد تظن أن هذه القصة ان هى الا خرافة شخص مجنون ، وقد تظن أنه ( حتى اذا كانت

حقيقية ) فانه ليس من الحكمة أن تكون على صلة بمثل هذه القوى العجيبة .

اذا رايت هذا الرأى فما عليك الا أن تدمر هذه الأوراق وأن تدمر ما على الابريق من كتابة .. ! ولا تدع اطفالك واطفال أطفالهم تزعجهم بعد الآن تلك القصة الخطرة الحمقاء . أوقد ترغب ـ كما رغبت انا ـ أن تعرف ما اذا كانت القصة واقعية . أم لا .. وقد تقرر أن تذهب وأن ترى بنفسك .. لك ان تختار وداعا .. !

قال « ليو » : حسنا .. ماذا تظن أنت يا « هوللى » ؟

ـ اظن أن اباك كان مجنونا . ظننت هذا منذ عشرين عاما عندما جاء الى غرفتى بهذا الصندوق !

قال « جوب » : انه مجنون حقا !

ـ حسنا . فلننظر ماذا تقول الكتابة على الابريق ..

واخذ (( **ليو** )) النسخة الانجليزية **وقرا ما يلى** :

ـ انا (( **امينارتاس** )) من عائلة فرعون .. انا زوجة (( **كاليكريتس** )) .. اكتب هذا لابنى الصغير الذى اسميته (( **المنتقم** )) .. اكتبها لأنى لن البث ان اموت . عندما ذهبت انا وأبوك على ظهر مركب من مصر جئنا الى الساحل الشرقى لافريقيا . وهناك القت بنا عاصفة قرب صخرة تشبه راس رجل افريقى . فقد مات كل الرجال الذين كانوا على السفينة ، ولكن رجالا متوحشين جلبونا بعد رحلة عشرة ايام الى ان وصلنا الى جبل حيث كانت تظهر آثار مدينة قديمة كبيرة .. ولكن هذه المدينة العظيمة قد دمرت منذ وقت بعيد .. وداخل الجبل توجد كهوف كبيرة . وجلبنا هؤلاء الرجال الى ملكة شعب يضع رجاله القدور عى رءوس الأجانب الغرباء .. !

هذه الملكة ساحرة وتعلم كل أسرار الحياة والجمال وهى لا تموت أبدا .. واحبت (( **كاليكريتس** )) وارادت ان نقتله واخذتنا الملكة الى كهف كبير ..

بعيدا تحت الأرض .. وفيه كانت « نار الحياة » ! ..
وقفت هي فى قلب النار وخرجت دون ان تمسها هذه
النار بضر أو تنقص من جمالها .. ثم قالت لكاليكريتس
« اقتل زوجتك .. وهبنى نفسك .. وسأبقى عليك
حيا لا تموت .. ذلك انى انا لا اموت وستعيش
انت الى الأبد » .. ولكنه لم يرض .. ثم غضبت
الملكة وقتلته .. ولكنها لم تستطع ان تقتلنى انا لأنى
أعرف سحر القوم . ارسلتنى الى مصب النهر حيث
ترد السفن الكبيرة . وهكذا وصلت أثينا .. والآن
اقول لك يا ولدى (( المنتقم )) اعثر على هذه المرأة
واكتشف سرها فى الحياة .. واقتلها من اجل ابيك
(( كاليكريتس )) .. واذا فشلت انت فاجعل ابنك
يفعلها أو اطفال اطفالك .. حتى يأتى واحد منهم
تكون له الشجاعة ان يؤدى واجبه .

**قلت** : حسن يا (( **ليو** )) الآن تستطيع ان تقرر
ماذا تفعل فى ذلك انى أعلم ماذا يدور فى ذهنى ان
الابريق والكتابة واقعيان حقيقيان .. انها اغريقية
قديمة ولكنى اظن ان آلامها وشكواها وفقدانها زوجها

قد دفعا بالمراة الى الجنون فكتبت هـذا .. ولكنها لم تكن كاملة الرشاد عندما كتبت هذا ..

ـ اظن انه لا توجد كلمة حق واحدة فى القصـة يا سيدى وانى لأرجو يا مستو « ليو » الا يكون لك يد فى هـذه الشئون .. انه لا يمكن أن يأتى منهـا خير .. !

وقال « ليو » : ربما كنتما على حق أنتما الاثنان ولكنى اقول هـذا : ساقوم انا بحل هذه المشكلة .. فاذا لم تكن صادقـة سأكون اذن قـد انهيتهـا .. ووضعت خاتمة لها وتوقف . ثم قال : اذا لم تجيئا معى فسأذهب وحدى ..

فقلت انا : حسن .. حسن .. انا فى حاجـة الى عطلة وسنحصل اذن على صيد جيد .. !

وبعد ثلاثة اشهر كنا فى طريقنا الى زنجبار ..

# ( ٥ ) عاصفة فى البحـر

حصـلنا على مركب عربى عبـارة عن سـفينة شراعية كما تبدو فى الصورة ، ووراءها قارب كنا قد جلبناه معنا من انجلترا . . وكان لهذا القارب حافظات هوائية مبنية فيه ومن شأنها ان تجعله طافيا حتى اذا امتلأ بالمـاء . وكان هنـاك أيضـا صناديق للغـذاء والمؤن .

كنـا نبحر جنوبـا بحـذاء السـاحل الشرقى لافريقيـا ، وكانت الأرض تمتـد الى يدنا اليمنى . وملأت الشراع ريح رقيقة . وكان البحر لطيفا تخرج منه موسيقى هادئة حانية . وفوقنا كان القمر وكان الليل صافيا يسمع فيه أدنى صوت ..

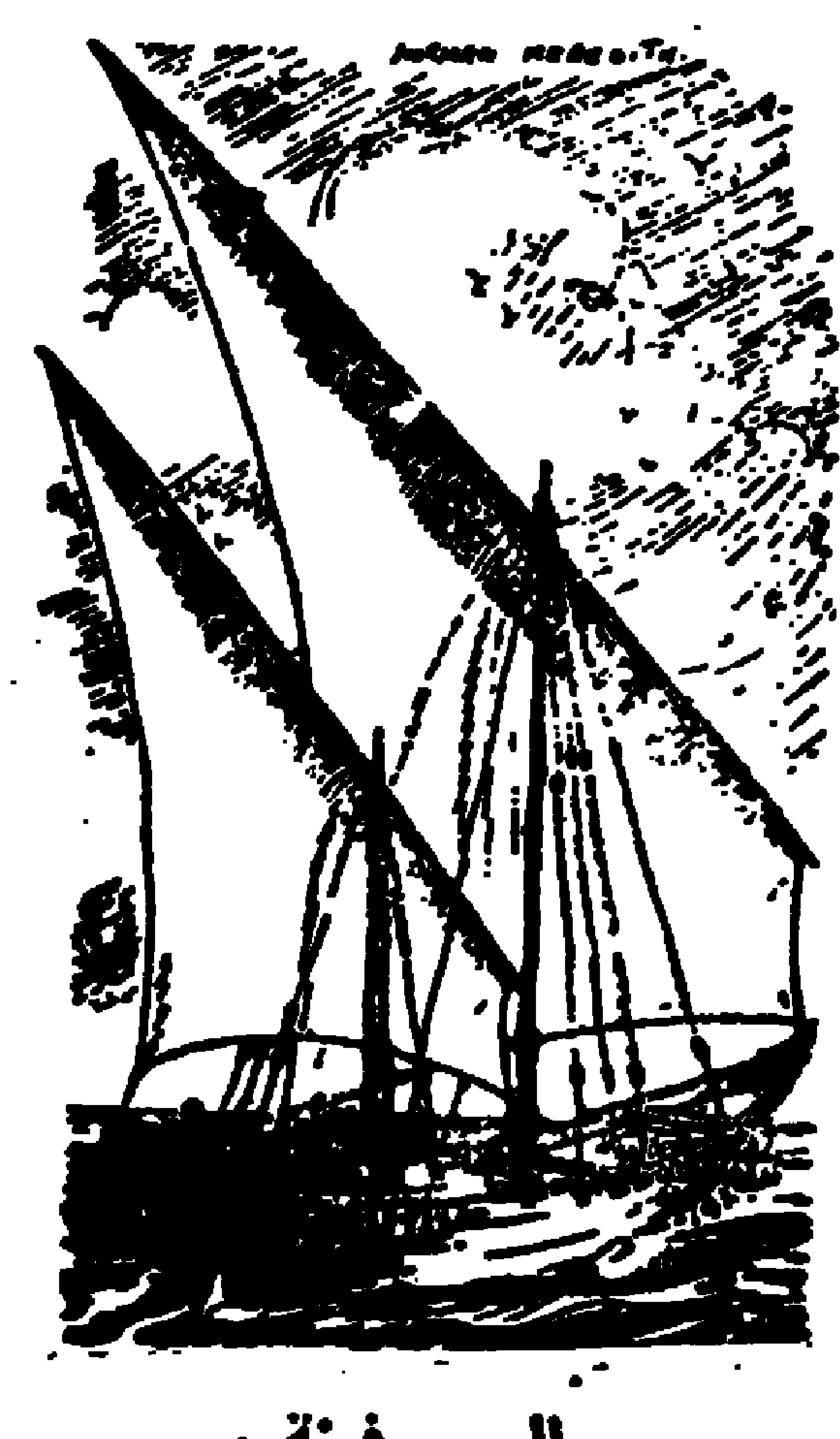
وكان يقود السفينة عربى اسمه « **محمود** » . **وفجأة رفع يده وقال** : اسمعوا . !

وجاءنا صوت بطىء عميق فوق المياه ..

**قال محمود** : هـذا أسد !

**قلت** : غدا حوالى العاشرة مساء سنكون قادرين على رؤية هـذا التل الذى يشـبه راس انسـان .. هكذا يقول لى القبطان .

**قال « ليو »** : لقد كنت أجرب عربيتى معه .. لقد كان يشتغل بالتجـارة فى هذا الجزء من افريقيا طول حياته . سألته ان كان يعرف شيئا عن المدينـة المخربة والكهوف ..



السـفينة ..

**وسالت انـا :** وهل يعرف ؟

ـ كلا .. انه يقول ان البلاد فيما وراء خط الســاحل منخفضــة رطبــة غير صحيــة ومليئــة بالثعابين .. !

ـ ما هذه السحب ؟ !

**قالها (( ليو )) موجها الحديث الى محمود مشيرا الى كتلة سوداء على طرف السماء ..**

ـ هــذه ؟ .. انها عاصفة .. عاصفة صغيرة ستمر بجانب السفينة !

وعند ذاك جاء (( **جوب** )) وقد لونت الشــمس بشرته وبدأ انجليزيا جدا ، **وقال :**

ـ سيدى لقد وضعت كل البنادق والمخزونات فى السفينة عند المؤخرة بحيث تكون جاهزة للرحلة اعلى النهر .. والقبطان يقول اننا سنكون هنــاك فى وقت مبكر من صباح غد .. الا اننى يا سيدى لا اثق فى هؤلاء الرجال ولذلك فانى سأنام ليلتى فى القارب.. اذا وافقت يا سيدى على ذلك .

ووافقت .. وكان الوقت يتقدم .. وبذلك فاننى انـا و « ليو » رقدنا لننام .

وكان الشيء التـالى الذى عرفته هو سـماع صوت رهيب تحدثه الريح القوية .. ثم صرخة فزع من الرجال .. وقفزت من مكانى وامسكت بحبل . وكانت السماء سوداء فوقنا ولكن كان القمر لا يزال يضيء امامنا . ورايت بضـوئه موجة كبيرة ارتفاعها يبلغ نحو عشرين قدما . واستطعت ان ارى الميـاه البيضاء على تاجها ؛ وجاءت مندفعة الى الأمام ثم غرق كل شيء فى ضوضاء المـاء .

ومرت الموجة .. وبعد ذلك رايت شراع السفينة يطير بعيدا كانه سحابة تدفعها ريح وسمعت صـوت « جوب » يصيح قائلا :

ـ هنا يا سيدى .. تعال هنا فى السفينة .

وكانت السفينة مليئة بالمـاء . ورايت محمود يقفز الى سطحها وقفزت انا الآخر وجذبنى محمود

من ذراعى الى الداخل وقطع الحبل بمطواته عندما بدات تتحرك ..

**وصرخت انا فجاة :** اين « ليو » .. ؟ ! .. « ليو » ! .. « ليو » .. ؟

**قال « جوب » :** لقد ضاع يا سيدى . !! .. انظر .. ها هى ذى موجة أخرى تهجم علينا ..

كان القمر الآن يكاد يختفى . الا اننى رايت فى ضوئه الخافت الموجة القادمة .. وفيها شىء داكن اللون . كانت فوقنا . وكانت السفينة تكاد تمتلىء بالمياه. ولكن حافظاتها الهوائية كانت تمسك بها وتجعلها عائمة على سطح المياه . وبدأ الشىء الداكن ياتى نحونا مباشرة . ومددت ذراعى لأحمر نفسى منه ، الا أن يدى أطبقت على يد أخرى .. وامسكتنى اليد !! وانا طبعا رجل قوى .. وكانت السفينة تسند جانبى الا انى شعرت بأن ذراعى يكاد ينخلع منى خلعا !! ولو دام اندفاع الماء اطول من هذا فلابد ان أترك نفسى تذهب ضائعة ولكن الموجة مرت .. !





العاصــــفة ..

ولاح آخر اضواء القمر قبل ان يغطيه الظلام تماما فأضاء لنا وجه الرجل الذى تعلق بى .. لقد كان « ليو » ! « ليو » يجيء الى ثانية ، حيا أو ميتا . بهذه الموجة الثانية .. !!

كان كل من « جوب » و « محمود » يشتغلان بحمية يزيحان الماء من قاع المركب . وانضممت اليهما سريعا . واخذ ثلاثتنا يعملون لانقاذ حياتهم وكانت العاصفة تجتاحنا من جميع النواحى . ثم سمعنا صوت الريح العميق وارتفعت فوق صوت الريح والمطر اصوات الموجات ترتطم على الصخور ..

وصعد القمر ثانية ثم بدا على بعد نصف ميل امامنا خط ابيض من الماء المقطع المتقاطع ، وراءه خط ابيض ثان وازداد الصوت وضوحا وقوة .

**صحت قائلا** : اذهب وخذ قيادة المركب يا « محمود » .. يجب ان نخرج من هذه العاصفة !

جلست انا و « جوب » مستعدين لتجديف ودفعتنا الريح والمياه الى الأمام .

وكان هناك مكان واحد حيث بدا الخيط الأبيض ارفع ، فاشرت اليه :

ـ قدنا الى هنا يا « محمود » !

رايته يجلب بكل قوته لادارة القارب فى هـذا الاتجاه .. وجذفت أنا و « جوب » بكل قوتنا . وكنا الآن فى وسطها وانقذف المـاء المكسـور عاليـا فوق رءوسنا وجاءتنا موجة من ورائنا . رفعتنا والقتنا فى مياه اكثر هدوءا ..

واصبح القارب مليئا الآن بالمـاء . وعلى بعد نصف ميل أمامنا كان الخط الأبيض الثـانى ولكن العاصفة كانت الآن اكثر هدوءا ..

نظرت الى « ليو » كانت عيناه مفتوحتين ولكننا كنا الآن مدفوعين نحو الخط الثانى من الصخور .. وجاءت صرخة « محمود » .. وصلاة استنجاد من « جوب » .. ودفعتنا الميـاه امامها وخلفهـا وسط موجاتها المتكسرة ..

وكانت العاصفة قد انتهت الآن تقريبا .. واصبحت السماء صافية .. واخذ ضوء القمر الأبيض يسطع فوق البر والبحر .. ونظرت الى أعلى .. الى الصخرة الكبيرة الماثلة أمامنا فى البحر .. واضاء القمر من ورائنا بحيث وقفت الصخرة سوداء مقابل السماء ..

وكانت الصخرة على شكل راس رجل افريقى .. ؟!



الصخرة المنحوتة على شكل رجل افريقى

# ( ٦ ) بعض الصدق فى القصة

طلع ضوء النهار أخيرا...

وجلست هنـاك فى القـارب أستمع الى همس المياه الرقيق . وكلما نظرت الى التل المـاثل فى البحر، رأيت الصخرة الغريبـة الشكل ، يحيط أطرافهـا وهج الشروق .. لم يكن هناك شـك فى شأنها !!!

كانت هناك إنف الراس ، وكانت هناك العيون ، وكان هناك الفم .. الشكل الكامل للراس !!

الا انني لم اكن ابدا مستطيعا ان اكتشف ما اذا كان شكلها هـذا من صنع يد انسانية ، أم انها كانت حادثة من حوادث الطبيعة ، ولكنها كانت قائمـة هناك امام البحر تماما كما راتهـا « آمينارتاس » الامـيرة المصرية منذ الفي عام .

سألت : حسـن .. ما رايك في هـذا يا « جوب » .. ؟

ورآها « جوب » للمرة الأولى فقال : يا لله !!

وايقظت « ليو » الذى بادر وسالنى :

ــ ولكن أين القارب ؟ ماذا حدث ؟

ــ فقدنا القارب وفقدنا كل من كان عليـه من رجال ما عدانا نحن الأربعة .

ونظرت الى « ليو » وقلت :

ـ وانت نجوت باعجوبة !!

**ونظر « ليو » امامه وقال صارخا :**

ـ ماذا ؟! .. هذا هو الراس الافريقى !! واذن فالأمر كله حقيقى !!

**فاجبتـه :**

ـ لا اوافق على هذا . علما بأن هذه الراس قد كانت هنا .. والدك رآها ! .. ولكنهـا قد لا تكون تلك الراس التى تتحدث عنها الكتابة .. حتى اذا كانت هى نفس الراس فان هذا لا يثبت شيـئا .. لا يثبت أن بقية القصة كلها حقيقية .

**فقال « ليو » :**

ـ انت شخص غير قابل للاقناع او التصديق !

ـ نعم .. انـا فعـلا غير مقتنع .. وانت الآن ستلاحظ أن قاربنا محمول الى شط رملى فى مصـب النهر .. ويجب أن نجدف وأن نحـاول أن نجد مكانا يمكننا منه ان نصل الى الأرض .

وكان هناك حوالى مسافة ميل وذراع طويلة من الأرض الرملية أعلى من الأرض الباقية وذات جوانب محورة . وسريعا ما وصلنا اليها ونزلنا الى البر .. ثم غسلنا أنفسنا ونشرنا ملابسنا وتركناها تجف .. ثم أحضر « جوب » شيئا من الطعام لافطارنا .

وبعد الافطار نظرنا لنتأمل ما حولنا فوجدنا مساحة من الأرض يبلغ طولها حوالى خمسمائة باردة بينما لا يزيد عرضها من مائة ، تعلو عن سطح الأراضى المنخفضة وراءها حوالى خمسة وعشرين قدما .

**قال « ليو » :** هذا مكان بناه الناس بأيديهم .. كما جاءت هنا سفن كبيرة ..

**قلت :** لا تكن احمق .. ! .. من ذا الذى يبنى مكانا مثل هذا فى ارض واطئة وفى بلد لا تعيش فيه الا شعوب متوحشة .. هذا اذا كانوا يعيشون فيه على الاطلاق ربما لم تكن دائما هكذا ، وربما كانت هذه الأراضى المنخفضة جافة فى قديم الزمان .

قال « ليو » : انظر هناك !

مشيرا الى شجرة اقتلعتها العاصفة وانتزعت جذورها المقلوبة من الأرض تاركة وراءها حفرة كبيرة.

ــ اليس هذا عملا حجريا فى قاع الحفرة ؟!

تسلقت هابطا الحفرة .. وهناك فى قاعها كانت احجار كبيرة مبنية الى جوار بعضها البعض .. وكانت وجوه الأحجار مسطحة بدقة وعناية واستطعت ان ارى فوقها العلامات التى تبين اين قطعت . وحفرت فى التربة بيدى ووجدت خاتما معدنيا كبيرا جدا .. كان عرضه حوالى قدم كامل بينما يبلغ سمكه نحو ثلاث بوصات ..

ــ يبدو ان سفنا كبيرة جدا قد جاءت هنا ..

قال « ليو » هذا وهو يرقبنى .. ولم أستطع انا ان اجيب . ربما كانت هذه الأرض جافة فى يوم ما .. وربما قامت هنا مدينة عظيمة قديمة !

قال « ليو » : يبدو ان هناك بعض الحق فى القصة .. الا يبدو لك ذلك واضحا !؟

نظرت حولى فوق الأرض المنخفضة ، وامتدت هــذه الى ابعد مما ترى العين .. كانت الشــمس تسكب الآن مزيدا من الحــرارة · وانتشــــر حولها قناع خفيف من البخار ..

**قــلت :** هناك ثلاثة أشياء تبدو واضحة لى .. انه من الواضح اننا لا نستطيع أن نعبرها ( واشرت الى الأرض الواقعة خلفنا ) .. وثانيا فانه من الواضح اننا لا نستطيع أن نبقى هنا لأننا اذا بقينا فسنموت مصابين بالمــلاريا .. وهــكذا فانه من الواضح لى ؛ ثالثــا ، انه ينبغى علينــا اما ان نخرج الى البحر فى القارب وأن نصل الى مكان بحــذاء الساحل أو ان نصعد النهر ونرى اين وصلنا ..

**قال « ليو » :** لست أدرى ماذا ستفعلون ولكننى ساذهب الى النهر !

**قال « جوب » :** فليعيننا الله ! .

**وقال « محمود » :** نفس الشيء باللغة العربية !

# ( ٧ ) صعودا مع النهر

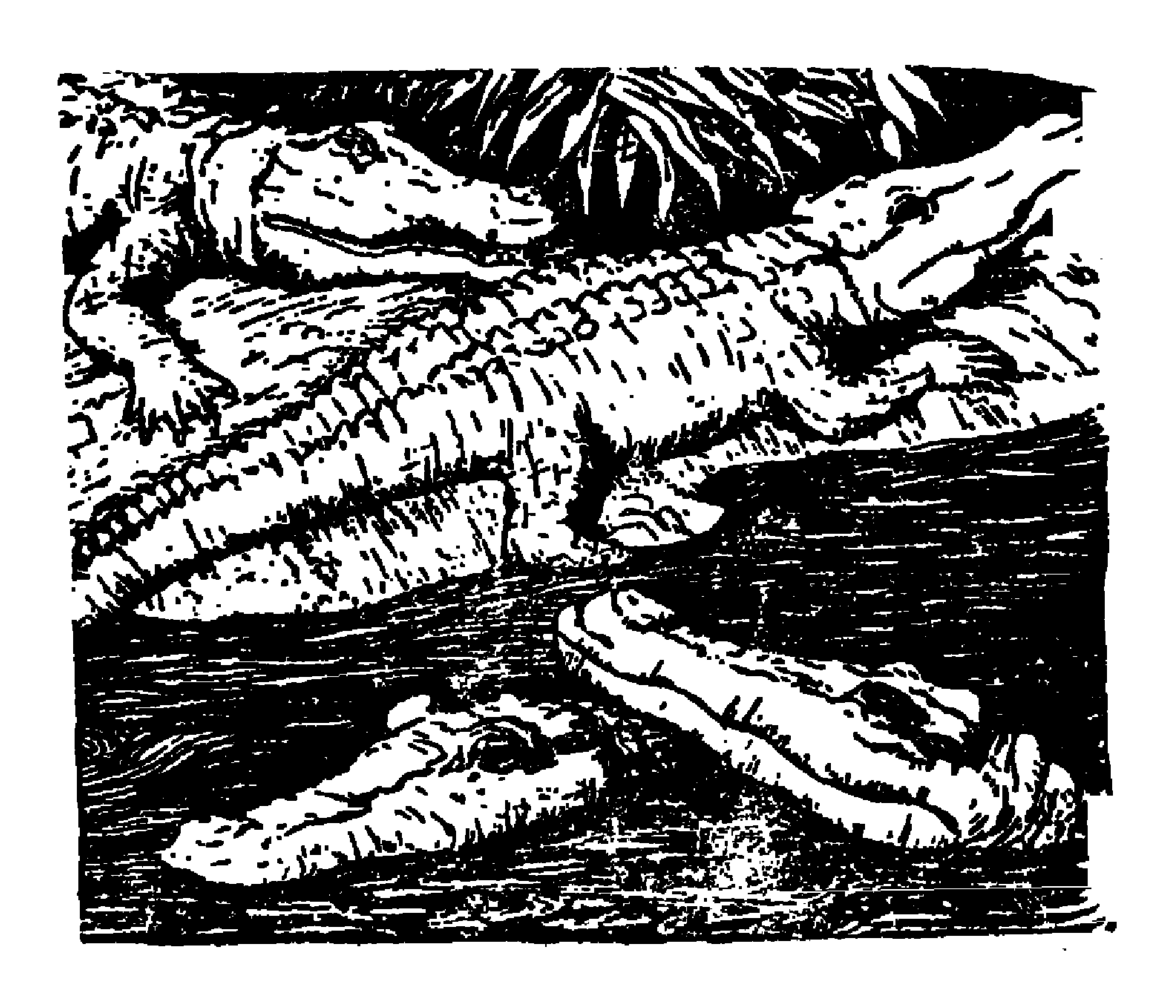
كانت الريح تهب نحــو الأرض من البحــر .. ورفعنا الشراع وسرنا ساعات بجذاء الشاطىء وبسرعة طيبة .. ورأينــا عــددا من التماســيح راقدة فوق الشاطىء او تطل عيونها فوق المــاء ..

وفى منتصف النهار هبطت الريح وأصبح الجــو

شــديد الحرارة ، وذهبنا نستظل ببعض الأشــجار ورقدنا حتى غربت الشمس ثم جذفنــا أمامنا حتى وصلنا الى بعض من المــاء المكشوف فى بحيرة صغيرة ، حيث نوينا أن نبقى الليل .. وعند الغروب جاءت بعض الظبيان المــائية تشرب من النهر .. ولم نكن نعلم كم طالت رحلتنا او حتى متى سيبقى لدينــا من طعام وبذلك أخذ « ليو » بندقيتــه ورأيته واقفــا ببندقيته فى مواجهة السماء . وفى المقدمة لمحت ظبى المــاء مطاطئا راسه يشرب .. ! وفى الغرب كانت كرة الشـمس الغاربــة الحمراء والســماء ممتلئة باسراب البط البرى عائدة الى أوطانها خلال الضوء الذهبى ، وكل شيء فيما حولنا عبارة عن مياه هادئة وحشائش طويلة .. وكنا ثلاثة من الانجليز فى قارب انجليزى .. وبدونا غرباء عن المكان .. ! وانطلقت الرصــاصة !! وقفز الظبى قفزة عظيمة !! ..

لقد اخطأ « ليو » مرماه . ثم انطلقت رصاصة ثانية !! .. وكانت هذه طلقتى أنا ..

قال « ليو » : طلقة رائعة ! وكانت طلقتى خائبة !



التماسيح ..

وخرجنا من المركب واخذنا من اللحم قدر ما استطعنا حمله ثم جذفنا حوالى ستين ياردة من الشاطىء وتناولنا وجبة ثم حاولنا أن ننام ولكن النوم كان مستحيلا .. انقضت علينا ملايين الحشرات هبطت علينا كأنها سحابات وانهالت علينا لسعا من خلال الملابس .. وغطينا وجوهنا ولكنها استمرت تلسعنا من خلال الأغطية !

ومضت الساعات فى هدوء ثم سمعت صوت أسد يمزق الصمت العميق ثم صوت أسد آخر ..

قال « ليو » : انا سعيد لأننا لسنا على الأرض :

وبعد وقت طويل طلع القمر وسمعت « جوب » يهمس :

ـ أوه .. يا للحظ ! .. انظر هناك ! ..

كان هناك أسدان جذبتهما نحونا رائحة اللحم الطازج فجاءا يسبحان نحونا وعلى بعد خمسة عشر قدما كان يقع الشاطىء الرملى ، وكان عمق الماء فوقه يتجاوز بوصات فقط . جاء الأسد الأول الى



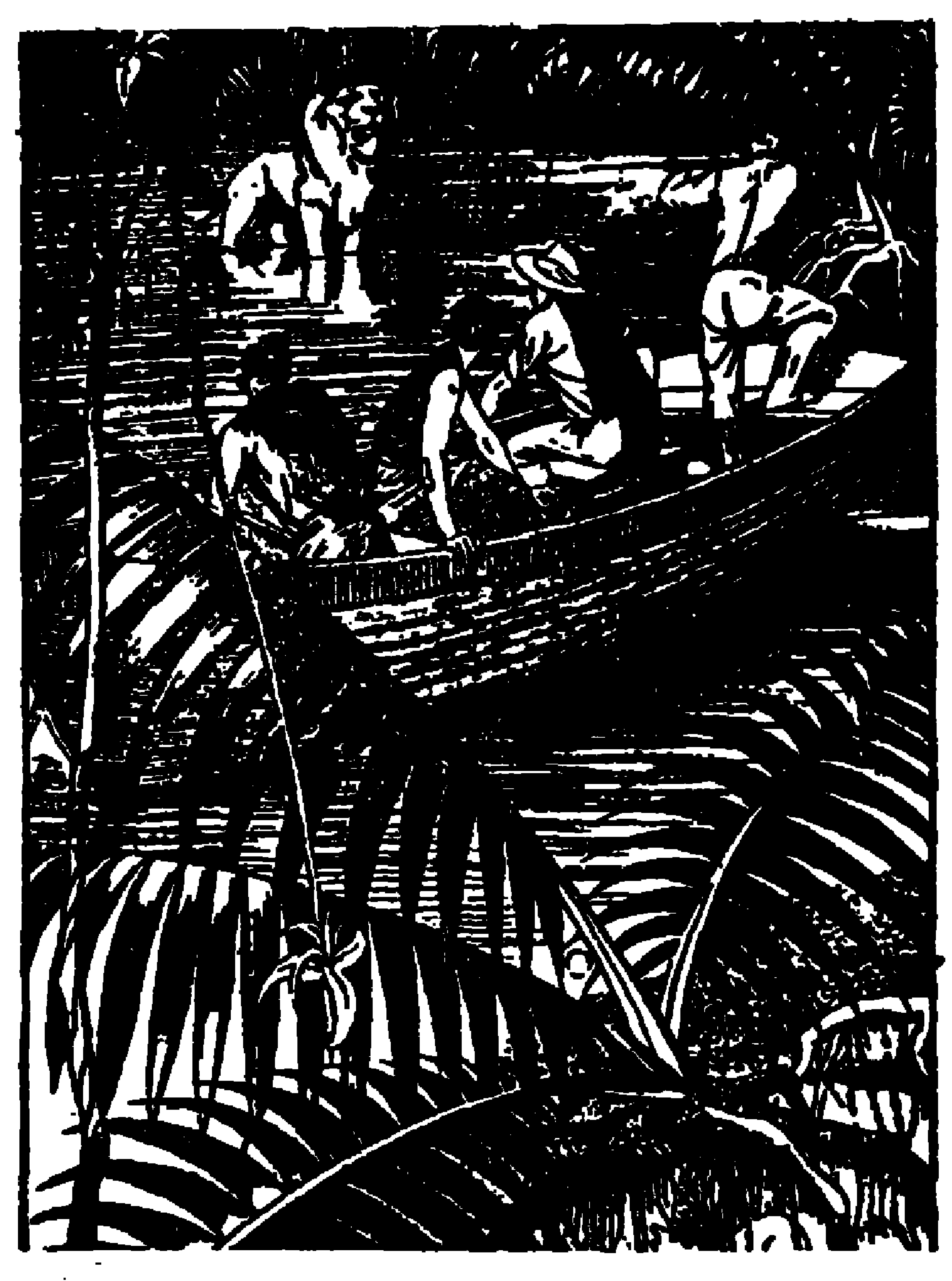
الظبى ..

الشاطىء الرملى ووقف واطلق عليه « ليو » النار وسقط الأسد فى الماء ميتا ! .. وكان الأسد الثانى وراءه مباشرة وفجأة نشب صراع عنيف .. انجذب الأسد الثانى الى الوراء غائصا فى الماء .

وصرخ « **محمود قائلا** » : انظر ! لقد قبض تمساح على رجله !

ومضى الصراع ناشبا بينهما وبدا الأسد فجأة كأنه يجذب التمساح الى البر ليسقط من جديد ..
واخيرا سقط راس الأسد الى الأمام ورايناه ينجلب فى الماء وكان الصمت تاما اللهم الا طنين الملايين من أصوات الحشرات .

وفى خامس ايام رحلتنا ذهبنا حوالى مائة واربعين ميلا غربا من الساحل . وفى صباح ذلك اليوم انخفضت سرعة الريح العادية حوالى الساعة الحادية عشرة . وبعد التجذيف مسافة قليلة جئنا الى مكان انقسم فيه النهر الى فرعين وخرجنا من القارب وسرنا على اقدامنا بحذاء الشاطىء الشرقى للنهر لنرى



وظهر اسد على الرمال ..

كم عمق المـاء هناك .. وبعد ان سرنا حوالى خمسين ياردة راينا انه سيكون من المستحيل أن نضع القارب فيه .. أصبح المـاء اقل فأقل حتى هبط عمقـه الى مجرد بوصات قليلة وعلى ذلك عدنا راجعين بحذاء الشاطىء الآخر ، الشاطىء الغربى ..

كان من الواضح أن هذا النهر ليس طبيعيا ولكنه ممر مائى من صنع الانسـان . كان شاطئاه عاليين حيث رفعت الأرض من مكانها أثناء الحفر ومضى الشاطئان فى خط واحد مستقيم نحو غاية معروفة . وبدا المـاء فيه كأنه لا يتحرك البتة وكان النبات فيه شـديد الكثافـة ..

**قال « ليو »** : اظن أن هذا النهر المـائى قد حفر لجلب السفن الى مدينة داخلية قديمة ..

**قـلت** : يجب ان نذهب الى هناك أو ان نعود الى البحر اذ لا يمكننا ان نبقى هنا حيث نحن فتأكلنا الحشرات !

انتظرنا حتى انخفضت الشمس ولم تكن هنـاك ريح وظللنا نجذف فى الساعة الأولى ، فكان عملا عظيم المشقة . ثم أصبحت النباتات شديدة الكثافة حتى اضطر اثنان منا أن يخرجا فيدفعا القارب بينما بقى الثالث يتولى زمامه وجلس الرابع فى المقدمة ودفع بالنباتات بعيدا وهى تتكوم أمام مقدمة القارب ..

لن أصف الأيام الأربعـة التالية من رحلتنـا . كانت أشقى الأيام فى حياتى وكانت أياما لا تنتهى من العمل والحرارة والحشرات ..

وفى اليوم الثـالث رأينـا ، على مبعـدة ، تـلا مستديرا لا يـكاد يظهر لشـدة بعده .. وفى الليلة الرابعة بدا هذا التل أنه على بعد ثلاثين ميلا منا ..

كنا الآن قد انتهينا وكانت أيدينا قد تشققت وغطتها الدماء . وشعرنا أننا لا نستطيع أن نجذب القارب ياردة أخرى وان أفضل شىء هو أن نرقد ونموت هناك فى هذه الفيافى المـائية .. وعندئذ ألقيت بنفسى

فى القارب لعنت حماقتى لانضمامى هكذا الى رحـلة مجنونة بهذا الشكل يمكن ان تنتهى بموتنا جميعا . وعندما نمت حلمت بالقارب وبما سيكون عليه شكله فى ثلاثة اشهر من الآن : نصفه ممتلىء بمياه كريهـة الرائحة ترقد فيه جثث متآكلة لأربعتنا .. وبدوت انى أرى جثة محمود هناك أمامى بعينيها المفتحتين تنظران الى دوما كما لو كنت وحدى الذى يلام .. !

استيقظت أهتز من الخوف على اثر هـذا الحلم الفظيع . وعندئذ رايت شيئا لم يكن حلما . عينان كبيرتان كانتا تنظران نحوى من خلال الظلام . وقفت وصرخت ثانيـة وثانيـة بحيث قفز الآخرون واقفين وجلسوا هناك يهتزون من الخوف الشديد وما زالوا نصف نائمين .

رايت ضوء القمر يضىء راس حربة مصوبة الى قلبى !

**قال الرجل بالعربيـة** : من أنتم أيها الرجـال

الذين جاءوا سابحين فى المـاء .. تكلموا .. تكلموا والا كنتم من الموتى ؟ !

ولكنها كانت لغة عربية من نوع خاص لم اكـد افهمها ..

قلت بافضل ما لدى من عربية : نحن رحالة ! جئنا هنا بالمصادفة !

ادار الرجل راسه ، وسـأل رجـلا طويلا جدا واقفا خلفه : يا أبى .. هل نقتلهم .. ؟!

# ( ٨ ) شـــعب الأحجــار

**سال حامل الرمح :** يا ابى .. هل نقتلهم ؟

ـ من هم ؟

ـ ثلاثة رجال بيض وواحد أسمر البشرة !

**قال الرجل طويل القامة :** لا تقتل .. منذ اربعة ايام كلمتنى تلك التى ينبغى ان تطاع وقالت اذا جاء

رجال بيض فلا تقتلوهم .. هاتوهم الى هـذا المنزل واجلبوا كل الأشياء التى معهم !

**قال الرجل حامل الرمح :** تعالوا .. تعالوا !

وسحبونا من القارب . وعلى الشـاطىء كانت هناك جماعة من حوالى خمسـين رجـلا .. وكلهم يحملون حرابا طويلة وكانوا طوالا جدا وكانوا اقوياء . وكان جلدهم فاتح اللون ولم يكن على ابدانهم ملابس ، مجرد جلد أسد فى الوسط ..

**قال الرجل الطويل القامة :** احضروا المقاعد !

وجاء الرجال جارين نحونا بالمقاعد . وكان كل مقعد يحمله اربعة رجال وكان هنـاك رجلان اثنـان آخران حتى يتم تناوب العمل ..

**قال (( ليو )) :** حسنا .. من الأفضـل ان يجد المرء اناسا ليحملونا بعد أن حملنا انفسنا هذه المسافة الطويلة ..

بدا « ليو » وكأنه يأخذ دائما الجانب الحسن من الأمور .

وما أن جلسنا فى المقاعد حتى بدأ الحمالون .. وارتفعت عقائرهم بالغناء عندما بدأت اقدامهم المشى وسريعا ما دفعتنى الحركة والغناء الى النوم .

وعندما استيقظت كانت الشمس عالية فى السماء . وكنا ما نزال نرحل بسرعة حوالى اربعة اميال فى الساعة .. كنا قد خرجنا من الأراضى المنخفضة . وكنا نتحرك فوق واد يتجه الى تل بعيد !

نظرت الى الرجال الذين كانوا يحملوننا . كانوا رجالا حسنى المظهر ذوى جمال على نحو ما ولكن وجوههم كانت مليئة بالشر . لم يبتسموا ابدا . ولم يضحكوا أبدا . واحيانا كانوا ينشدون بعض الأغنيات ولكنهم يظلون صامتين عندما لا يغنون . ولأمر ما ملأنى منظرهم خوفا .

كنت لا ازال اتساءل من اين اتوا ؟ .. عندما حمل كرسي الى جانب يدى اليمنى وفيه جاس رجل عجوز يرتدى ثوبا اصفر اللون يكاد يشبه ذلك الذى وجدته فى الصندوق الحديدى . قررت انه لابد ان يكون هو الرجل الذى نادوه بالأب . كان رجلا رائع المنظر بذقن بيضاء وعينين وامضتين حليمتين .

**قال بصوت خفيض عميق :** واذن فانت متيقظ اخيرا ايها الرجل الغريب !

**فاجبته بادب بالعربية :** نعم يا ابى . صباح الخير عليـــك .

**ابتسم وقال :** لا ادرى من اين اتيتم ولكنها بلد تعرف شيئا عن لغتنا وهم يعلمون الأدب . ولكن لـــاذا جئتم الى هذه البلاد حيث لم يحضر غريب منذ أمد طويل !

**اجبت :** لقد جئنا لنجد اشياء جديدة . لقد تعبنا من الأشياء القديمة نحن شعب شجاع لا نخشى

الموت .. اذا استطعنا ان نعلم شيئا جديدا قبل أن نموت !

**قال السيد العجوز :** حسن . قد يكون هـذا حقا . انى اتوقع ان « تلك التى ينبغى ان تطـاع » ستكون قادرة على تحقيق رغبتكم .

**سـألت :** من هى تلك ـ التى ـ ينبغى ـ أن تطـاع ؟ !

فضحـك ضحـكة غير سـارة على الاطـلاق ، **وقـال :**

ـ سريعا ما تعرفون هـذا . اذا رغبت « هى » ان تراكم بينما تزالون احياء .

**سألته :** ما اسم شعبكم ؟ !

ـ نحن شعب المتحجرين .. شعب الصخور .. !

ـ هل لى ان اسالك عن اسمك ؟ !

ـ اسمى بلال .

ـ واين نحن ذاهبون ؟ !

ـ سنرى !

واخبر رجـاله ان يحملوه اماما الى حيث كان « جوب » جالسا فى كرسيه بقدم مدلاة من ناحيـة جانب المقعد ..

# ( ٩ ) الراحة فى الكهف

نمت ثانيــة ، وعنــدما كنا نمر بين الحــائطين الصخريين استدرنا حول ركن وظهر امــامى منظر جميل . رايت واديا كبيرا عرضـــه يبلغ حوالى خمسة اميال . وكانت الجوانب صخرية باعشاب تنمو عليها . ولكن المركــز فيه كان الحشـــيش الغنى الأخضر مع اشجار رائعة قائمة هنا وهناك ومجار قليلة تسرى

عبرها . وفوق هذا الوادى الغنى رأيت أبقارا كثيرة وحيوانات أخرى . كان هنـــاك رجـــال يتحركون بين الحيوانات ولكنى لم أر علامات تدل على مســاكن .. أين يعيش هؤلاء الناس ؟ !

درنا نحو اليســار وذهبنا بحذاء جانب الوادى لمسافة نصـف ميل ثم وقفنا .. نزل الرجل العجوز « بلال » من كرسيه وفعلت مثـله وعند ذلك رأيت « محمود » المسكين نائما على الأرض لم يعط كرســيا ولكنه أجبر على الجرى حول الطريق كنا توقفنا على أرض مستوية امام فوهة الكهف . وضعت كل الأشياء التى جلبت وحول المكان وقف الرجـــال الذين حملونا ورجال آخرون من نفس الطراز . وكان هنـــاك ايضا بعض النساء . ولم يكن يرتدين جلود الأســود مثل الرجال ولكن جلود الظباء وارتدى بعضهن قماشـــا اصفر مثل ذلك الذى وجدناه فى الصندوق .. ذلك اللون الأصفر كان علامــة المركز . اكتشــفت هــذا فيما بعد ..

عندما نزل « ليو » من كرســيه أبدى النـــاس

اهتمامهم الكبير وخاصـــة عندما خلع قبعتـــه ورأوا شعره الأصفر .

وبين الجمهور كانت هنــاك امرأة ذات تقاطيع بالغة الروعة .. وكانت مرتدية ثوبا اخضر .. كان جلدها ذهبيا فاتحا وشعرها بنيا . نظرت الى « ليو » بحرص من راســـه الى قدمه وبعد أن قامت بهــذه الدراسة الحريصة الدقيقة تقدمت الى الأمام ووضعت ذراعها حول رقبة « ليو » وقبلت يده .

توقعت أن يندفع الرجال على « ليو » ويطعنونه بالحــراب .

قال « جوب » : يا لها من امرأة لا تخجل !

بدا «ليو » مندهشـــا بعض الشيء وظن أنهـــا عادة « غريبة » من عادات البلاد فرد التحية بمثلها .

ومرة ثانية توقعت حدوث شيء . بدت بعض النساء الصغيرات الشابات على شيء من الغضب ، وابتسمت بعض النساء الكبيرات . وبعد ذلك علمت

وفهمت معنى ذلك بين افراد شعب المتحجرين النساء والرجال على السواء فالنساء والرجال هنا سواسية والنساء تختار ازواجهن بتحيتهم على هذا النحو واذا رد الرجال بهذه الطريقة فان هذا معناه أنهم يوافقون .

اسم هذه المراة الشابة هو « أوستين » وهكذا فان « إوستين » قد اختارت « ليو » زوجا لها وكما بدا لها ان « ليو » قد وافق .

رايت امراة لم تكن شابة بعد تحركت نحو « جوب » .وكان « جوب » يبدو خائفا ولكن « بلال » تقدم حينئذ وقادنا الى الكهف . وكان الكهف يبدو طوله نحو مائة قدم وخمسين قدما عرضا .. تمر منه ممرات عديدة . وكان واضحا أنه لم يكن كهفا طبيعيا ولكنه بنى بيد انسان .

كانت تشتعل فى وسطه نار كبيرة تلقى اشباحا عريضة على الجدران والسقف . وقادنا « بلال » الى النار وجعلنا نجلس على جلود هناك جاهزة لنا .

وجلبت فتيات صغيرات الطعام لنا ـ لحمـا وقمحـا ولبنا . وكنـا فى شـدة الجوع وبعد الوجبـة **وقف « بلال » وتكلم :**

ـ هذا شىء جميل هذا الذى حدث . لم يأت ابدا غريب أبيض البشرة الى هذه البلاد قبل الآن . وفى بعض الأحيان جاء أفراد قليلون آخرون الى هنا . ولكنهم جميعا قتلوا . لقد رأوكم تجذبون قاربكم على طول الطريق العتيق وأمرت ان يتم قتلكم ولكن رسالة جاءت منها « هى » !

**فسألت :** هى ؟ !

الاسـم الكامـل هـو : « هى ـ التى يجب أن تطاع » ولكن اسـمها الصغير : « هى » يجب أن أذهب الآن لأعرف المزيد من أوامرها !

**وسألت :** وكم من الوقت ستبقى بعيدا ؟ !

ـ سأعود فى اليوم الخامس !

ـ واذن فهى تعيش على مسافة تزيد قليلا على يومين من هنا .. ولكن كيف عرفت بوجودنا هنا ؟

ابتسم « بلال » ونظر حوله ليرى أن ليس هناك احد من الآخرين قربنا ثم قال بهدوء : اليس من احد فى بـلادكم يسـتطيع ان يرى بدون عيـون ويسـمع بلا اذان ؟ لا تلق على اسئلة .. انها تعرف !

ومضى قـائلا : سـأعود فى اليوم الخـامس . وسيفعلون كل شيء من اجل راحتكم بينما انا غائب . وآمل ان تفكر بعطف فى شأنكم وسأتحدث انـا مدافعا عنكم لأنني احبكم . ولكنى لا اعطيكم الا قليلا من الأمل كل اجنبى جاء هنا الى هـذه البلاد اثناء حياتى واثناء حياة ابى وجدى وجد جدى قد قتل . قتلوا جميعا على نحو كريه بغيض لن أصفه وهى التى كانت دائما تعطى الأمر بقتلهم .. أو تأذن بذلك .

قـلت : لست افهم .. انت رجل كبير مسن .. كيف تستطيع هى أن تعطى الأمر بأن يقتل رجـل واحد ، فى وقت جد جدك ؟

وابتسم « بلال » من جديد ثانية .. ومضى بعيدا دون ان يتفوه باية اجابة .

# ( ١٠ ) الأيام الأربعة الأولى

عينوا لنا رجلا دميم الخلقة فى الأربعين من عمره وليا على أمرنا وانبأته أننا نريد أن نستحم وقادنا الى مجرى مائى . وعندما عدنا كانت الشمس قد غربت وكان الكهف مليئا بالناس يجلسون حول النار ويأكلون وجبتهم المسائية .

كانوا يأكلون فى صمت مهيب .. جلسنا واخذنا نراقبهم بعض الوقت ولكنــه لم يكن منظرا مبهجــا ولهذا قلت لحارسنا الجديد :

ـ نحب أن نذهب لفراشنا .

ودون ان ينطق كلمة اخذ مصباحا وقادنى الى واحد من الممرات الصغيرة الخارجة من الكهف . وبعد ان ذهبنا حوالى خمس ياردات انفتح الممر الى داخل غرفة صغيرة . وفى ناحية من الحجرة كان رف حجرى طوله ستة اقدام وعرضــه قدمان اوثلاثة . واراني ان على ان انــام هنا . ولم تكن هناك نافذة او ثغرة ولا منضدة ولا كرسى ولا شيء ! وبدا لى المكان كأنه يستخدم لراحة الموتى اكثر منه للأحياء .. ثم اكتشفت بعد ذلك اننى كنت على صــواب . ولكن كان على أن انــام فى مكان ما . وعلى ذلك عدت الى الكهف لأجد الحقيبة التى تضم اشيائى . هناك قابلت « جوب » الذى اقتيد الى غرفة أخرى من نفس النوع ، ولكنه قال لى :

ــ انه قبر يا سيدى .. مجرد قبر لجثة رجل ميت . لا أستطيع أن أنام هنا وحدى . هل استطيع أن آتى معك .. لمجرد الصحبة يا سيدى ؟

وفى الصباح سمعنا صوت الطبل .. فقمنا .. وذهبنا الى الجدول واغتسلنا . وبعد ذلك جلبوا لنا الطعام .. وعندما جلسنا الى الافطار جاءت احدى النساء الى « جوب » وحاولت ان تقبله .. وكان « جوب » شديد الغضب **فصرخ فى وجهها** :

ــ اذهبى ! اذهبى ! صدقنى يا سيدى لم ارها قبل الآن على الاطلاق .. اوه !! يالله انها آتية نحوى من جديد . امسكها بعيدا يا مستر « هوللى » ' واستدار هاربا !

رايت بعضا من شعب الأحجار يضحكون .. ولكن النساء وقفن هناك وكن ينتفضن غضبا ، ووددت لو كان « جوب » اقل حرصا من ذلك على اسمه الطيب .. واكثر حرصا على مشاعر السيدة !

خشيت ان يضعنا هذا فى موضع الخطر . والواقع ان ذلك قد حدث بالفعل !

**قلت للرجال** : ان الرجل متزوج .. وزوجته امراة شرسة . انها تجعل حياته بائسة .. هـذا هو السبب فى انه يخشى النساء جميعا .. !

استمعوا الى فى صمت وكان واضحا ان طريقة « جوب » فى استقبال السيدة قد مست كرامتهم ، وكانوا غاضبين لهذا ..

وبعد الافطار راقبنا الناس يعملون فى الحقول.. جاءت معنا صديقة « ليو » واسمها « أوستين » وجلسنا الى جوار المجرى وسألت « أوستين » عن شعبها فاجابت :

ـ لا ادرى ولكن هناك خرائب كثيرة لمدينة قديمة قرب المكان الذى تعيش فيه « هى » .. المدينة نفسها كان اسمها « كور » . لا احد يجرؤ أن يقترب

من تلك الخرائب ، ان ارواح رجال موتى تعيش فيها . وهنـاك خرائب اخرى فى اجزاء اخرى من البـلاد حيثمـا كانت الأرض مرتفعة .. هنـاك ايضـا كهوف منحوتة فى الصخر نحتها رجال عاشوا فى المدن .

**سـألت :** هل لديكم اى قانون ؟

ــ هناك عادات شعبنا ، كمـا أن هؤلاء الذين يرتكبون خطأ يقتلون !

ــ كيف ؟

**ابتسمت وقالت :** قد ترى هـذا فى يوم قريب !

ــ هل لديكم اى حاكم ؟

**قـالت :** نعم . هى ملكتنا .. ولكننا قليلا جدا ما نراها . مرة واحدة فقط كل سنتين أو كل ثلاث عندما تأمر بموت بعض الناس !

ــ كيف يبدو شكلها ؟

ـ لست ادرى ، انهـا دائمـا مغطـاة بحيث لا يستطيع احد أن يرى وجهها . يقال انها جميـلة جدا ، وانها تعيش الى الأبد وان لها قوة على كل الأشـياء .

وهكذا مرت اربعة ايام قبل ان تبدأ الأشياء فى الحدوث . سرنا على اقدامنا وساءلت « أوستين » والآخرين ، وبدأنا نتحصل على صورة لهذا الشـعب الذى لم يزره رجل غريب منذ مئات السنين . وبدا ان هـذا البلد مقطوع تماما عن العـالم الخارجى . لا يستطيع احد ان يعبر هذه الأراضى الواطئة الا اذا عرف الطريق وكل هؤلاء الذين حاولوا قتلتهم الملاريا او قتلهم الجوع او الغرق .

كان « ليو » يشعر بمزيد من السعادة اذ يرى جزءا من القصـة يثبت أنه واقعى . ومن الواضح ان « جوب » لم يعرف كيف يفكر . كان يستطيع فقط ان يتساءل ويتعجب فقط .

وبدا أن « محمود » العربى كان جد خائفا . كان شعب الأحجار مؤدبين حياله ولكنهم كانوا شديدى البرودة . ولم أستطع أن اعرف ماذا أخافه .

**قـال** : ان هؤلاء الناس شياطين !

وكان هذا هو جوابه الوحيد ..

وفى ليلة اليوم الرابع حدث شىء ..

# ( ١١ ) معركة فى الكهف

كانت هى الليلة الرابعة . وكنا ثلاثتنا و «أوستين» جالسين حول النار ، ثم بدأت « أوستين » تغنى بصوت خفيض . لم أستطع أن التقط كل الكلمات . بدا أنها نوع من اغانى الحب . **ثم سمعت شيئا كالخوف فى صوتها :**

« هى التى اقوى قد اخذته .. هى التى اجمل منى .. وانت استدرت وناديتنى فى الظلام ولكن » ..

وتوقف صوتها . كانت عيناها ثابتتين على شىء فى الظلام !

اشارت اليه ولكننا لم نر شيئا .

سال « ليو » : ما الأمر يا « اوستين »

ـ انه لا شىء . لماذا اخفيك ! انى فقط اسالك ان تفكر فى شانى عندما اكون قد ذهبت ..

وفى صباح اليوم التالى جاء حارسنا واخبرنى ان حفلا سيقام تكريما لنا . وعندما سمعت « اوستين » هذا رأيت على وجهها نظرات رعب . امسكت بذراعه وكلمته ولكنه اجابها بجفاف وكان واضحا انها لم تكن سعيدة بذلك . حاولت ان اعتذر فقلت : نحن اناس هادئون ولا نحب الحفلات !

ولكنها استقبلت كلامى فى صمت ..

أخبروني قبيل الغروب ان كل شيء جـاهز . كانت هناك نار كبيرة في الكهف .. وكان هناك خمسة وثلاثون رجلا وامرأتان يجلسـون حولهـا .. كانت المراتان همـا « أوستين » والمراة التي جـاءت الى « جوب » . وبين الرجال كان « محمود » ..

**قال « جوب »** : انظر .. هذه امراتي تتحدث الى « محمود » .. انا سـعيد لأنها لا تتحدث معي انـا !

نهضت المراة وكانت تقود « محمود » خارجة من الركن حيث كان جالسا وكان « محمود » في حـالة خوف هائـل .

**قـلت** : لا يروق لي هـذا المنظر هـل معك مسدسك يا « جوب » ؟

كان « جوب » معه مسدسهوكان معي مسـدسي أيضا . ولكن « ليو » كان معه سكين فقط .

جلس الرجال هنـاك في صمت تام يمررون اناء

من الشراب القوى فيما بينهم .. ولم تكن هنــاك أية اشارة الى الطعــام .. ولكن كان هنــاك وعــاء حديدى كبير فى النار وقضيبان طويلان لرفعه .

وبعد وقت بدأوا يغنون . **غنى القائد :**

أين اللحم الذى سنأكله ؟

**اجاب الآخرون :** الطعام سيأتى !

**غنى القائد :** كيف سيأتى اللحم ؟

**غنى الآخرون :** سنقتله !

هل اللحى مستعد للطهى ؟

هل القدر ساخن لطهى الطعام ؟

انه ساخن ! انه ساخن !

**قال « ليو » :** انى اقول يا « هوللى » .. تذكر الكتابة فى الصــــندوق .. انها **قالت :** الرجال الذين يضعون القدور على رءوس الأجانب ..

واذ قال هــذا قفز رجلان وانتزعا القدر من

فوق النار .. وفى نفس اللحظة اخذت المراة التى كانت جالسة بجوار « محمود » حبلا من تحت ثوبها ووضعته فوق كتفه . كان الرجـلان يحملان القدر الى المكان الذى كان يصـارع فيه « محمود » وكانا يقصـدان ان يضعا القدر المحمر من السخونة على راسـه ! .. لقد اعدت المراة هـذا كانتقام مما فعل « جوب » .

قفزت أنا واطلقت النار على هذه المراة الشريرة التى كانت ممسكة بالقدر بين ذراعيها وسقطت بينما يقفز « محمود » عاليا فى الهواء ، ثم سقط ميتا الى جوارها . لقد مرقت طلقتى ، التى اطلقتها من مكان قريب بهذا الشكل ، خلال الجثتين !

امسك رجل جالس قربنا بحربته ..

**صرخت : اجر .. !**

وكان هنـاك شرذمة من الرجـال فى مدخـل الكهف .. وعلى ذلك جريت داخلا الكهف . واذ قفزت فوق جثة « محمود » احسست بحرارة القدر عند

قدمى . وفى نهاية الكهف كان يوجد رف يرتفع ثلاثة اقدام وعمقه ثمانية اقـدام . ووصلنا اليه جميعنـا وقفزنا فوقه على استعداد لنحارب حتى النهاية .

وتوقفت الزمرة لحظة عندما رأونا نواجههم . ونظرنا نحن الى صفهم الطويل من الأشباح التى تنتهى فى النـار وكنـا نستطيع ان نرى القـدر المحمرة من السخونة وهى تلتمع فى ذلك المكان شـبه المظلم .

كان « ليو » ممسـكا بمطواتـه فى يده اليمنى وقـال :

ــ وداعا يا « هوللى » .. لا فرصة لنا بازاء كل هؤلاء الناس الذين سيقضون علينا فى دقائق ويأكلوننا بعد ذلك .. اغفرلى انى اتيت بك الى هنا .. وداعـا يا « جوب » .. !

رفع « جوب » مسدسـه واطلقـه ثم وقع الاندفاع ..

قفز رجـل ضخم الى الرف الصخرى وغرس سكينه فيه وعندما فرغ مسدسى استخدمت

المطواة ولا أدرى ماذا حدث « لجوب » .. أظن أنه رقد ساكنا وتظاهر بالموت . ضربت رجلا بعنف شديد بسكينى ولما سقط جذبت السكين منه . وقفز على رجلان . وضعت يدا حول كل منهما وسقطنا جميعا على ارض الكهف معا ، بعضنا فوق بعض . كانوا رجالا أقوياء ولكنى كنت كالمجنون فى غضبى وكنت اشعر بعظامهما تتحطم وأنا أهصرهما وشعرت بهما يتوقفان عن الصراع ولكنى لم أجرؤ على تركهما .

أدرت راسى ورايت أن « ليو » قد غادر الرف الصخرى ايضا . كان فى وسط جمع يتصارع . ورايت وجهه الجميل وتاجه من الشعر الذهبى ، عاليا فوق رءوسهم .. كان يحارب بقوة تروعك رؤيتها . ثم فقد كمينه وظننت النهاية آتية .. ولكنه هرب وامسك بجثة الرجل الذى طعنه توا ، ورفعها عاليا فى الهواء وقذفها نحو الطغمة فهوت بخمسة أو ستة منهم الى الأرض .. ولكنهم ، فى دقيقة واحدة ، وقفوا ثانية فيما عدا واحدا . عادوا اليه ثانية ، كلهم وفى صمت !! وسقط تحت وزنهم كانه

شجرة هاوية . امسكوا بذراعيه ورجليه ..

**صاح صوت** : هاتوا رمحا !! رمحا لأقتله وقدرا لأمسك بدمائه !!

واغلقت عيني وسمعت صوت الصراع . وعندما نظرت من جديد كانت المراة « اوستين » قد ألقت بنفسها فوق « ليو » تحميه بجسمها حاولوا أن يجذبوها بعيدا ولكنها وضعت ذراعيها حول عنقه ورجليها حول رجليه وأمسكت به .

**صاح صوت** : اطعن الرجل بالحربة هو والمراة وهكذا سيجمع بينهما الموت !

ورايت رجلا ومعه جربة يستعدل قامته ويرفع ذراعه ورايت وميض النار فوق الحربة ..

واغلقت عيني .. واذ فعلت هذا سمعت صوتا يصرخ **قائلا** : قف !

وهبط الظلام على عقلي ولم اعرف شيئا بعد هذا ..

# ( ١٢ ) بعد المعـــركة

عندما فتحت عيني ثانية كنت راقدا على الجلد غير بعيد من النار . وقريبا مني رقد « ليو » وكانت عيناه لا تزالان مقفولتين وجلسـت « اوستين » بجواره تغسـل جرحا بجانبه .

وكان « جوب » واقفا خلفه يرتعش ولكن دون

اذى أصابه . وفى الجانب الآخر من النار كانت جثث هؤلاء الذين قتلناهم فى عراكنا الفظيع من اجل الحياة . عددتهم فكانوا اثنى عشر بخلاف المراة وجثة « محمود » المسكين .. والى اليسار كان عدد من الرجال يحرسون جثث هؤلاء الذين هاجمونا والذين بقوا أحياء ، وعلى مقربة منهم كان « بلال » يشرف على عمل تثبيت إذرع السجناء من خلفهم . رآنى جالسا فجاء نحوى **وقال** :

ـ ارجو ان تكون افضل الآن !

ـ اشكرك ايها الأب لانقاذك ارواحنا ! فقد كان هؤلاء الأوغاد الشياطين يستطيعون أن يقتلونا كما قتلوا خادمنا ..

ـ سننتقم لخادمكم وسيذهبون اليها « هى » وسيتمنون أن لم تلدهم أمهاتهم قل لى ماذا حدث ..؟

فأنبأته بكل شىء .

**قال** : يجب أن تفهم أن هناك عادة أن أى

اجنبى يأتى الى هـذا البلد سيقتل بالقدر .. انـا شخصيا أعتقد أنها عادة سيئة شريرة وهى ـ التى ـ ينبغى ـ أن تطـاع قد بعثت أوامر بأنك لن تقتل . هؤلاء السجناء سيتمنون لو أنهم هم ايضا قد قتلوا فى القتال .

ومضى فقال : ولكن هل تعلم ايها « السعدان » الطويل الذراع انك انت قد حطمت عظـــام هـذين الرجلين الاثنين كمـا يحطم رجـل قشر بيضـــة . واما الشاب ، هذا الأسد فقد كان من الجميل أن يراه المرء وهو يقف وحده ضـد هذه الكثرة .. انت وهو قد جعلتمانى صديقكما بهذه المعركة الباسلة !

ثم سألنى عن مسدساتنا ، كيف قتلت رجـالا على مبعدة . ولكنى كنت متعبا الى حد بعيد ..

فتح « ليو » عينيه وحمله « جوب » بمساعدة « أوستين » الى السرير .. وذهبت انا الى الغرفـة الصغيرة . وعندما جاء الصباح لم أشعر بأنى بصحة

جيدة تسمح لى بالاستيقاظ . وعندما جاء « بلال » تظاهرت بانى مستغرق فى النوم . ووقف ناظرا الى .

**وسمعته يقول لنفسه** : انى أحب هذا « السعدان » وأرجو الا تفعل « هى » شيئا من السحر عليه .

**وفتحت عيني، وقلت** : صباح الخير ايها الأب !

ـ لقد جئت فقط لأرى كيف صحتك . لقد امرتنى « هى » أن آتى بك مباشرة ولكنى لا أظن أنك يمكنك ان تتحرك .

**قلت** : ليس بعد ولكنى اتوسل اليك أن تجعلهم ينقلونى الى مكان فيه أشعة الشمس .. انا لا احب هذا المكان على الاطلاق !

**قال** : نعم نعم .. انه مكان مقبض حزين وعندما كنت صبيا وجدت فيه جثة امرأة جميلة راقدة حيث ترقد انت .. واعتدت ان اجىء وأن انظر اليها

هنا .. وبدت كأنها ما تزال حيــة ولو انها كانت باردة فقط . كان جلدها أبيض وشعرها اصفر طويلا يكاد يصــل الى قدميها . وقعت فى حبهــا تقريبا .. ثم اكتشفت امى ذات يــوم اين اذهب ، فأوقفت المرأة الميتة الى الحائط واخذت مصباحا واشعلت النار فى شــعرها واشــتعلت الجثــة كلها وذابت كأنهــا من الشمع .. ! ان هؤلاء المحفوظين من التداعى يحترقون دائما بهذه الطريقة .. انظر ! .. هناك على السقف يمكن أن ترى آثار الحريق .. !

نظرت الى اعلى .. وكانت هناك علامة سوداء عرضها ثلاثة اقدام ..

**قــال** : عندما عدت كان كل شىء قــد احترق ما عدا القدمين . اخفيت قــدما منهما تحت الرف الصخرى . ربما كانت ما تزال هناك !

ووضع يده تحت الرف الصخرى حيث كنت ارقــد ..

ـ هـاك !

قالها ووضـع شيئا فى يدى . وكان ذلك قدما ! ربما اخف وزنا مما لو .كانت حية ولكنهـا محفوظة جيدا من حيث الشكل واللون ! .. ترى .. كم دبت هذه القدم على الأرض عندما كانت صاحبتها حية .. يا للقدم البائسة الحظ !

# ( ١٣ ) الرحلة الى كور

واحضروا لنا خمسة مقاعد نقالة . وكان هناك حرس من خمسين رجلا ليذهبوا معنا ..

**سألت « بلال »** : هـل ستأتى « اوستين » معنـا ؟

**قـال** : اذا أرادت .. انها ، بحـكم قوانيننا

زوجته . انها فتـاة شجاعة وهى تحب الأســد ، وأنقذت حياته . ومن حقها أن تذهب حيث يذهب هو الا .. اذا قالت ( هى ) لا !!!؟

ونزلنا الى جانب التل ، ثم صعدنا الناحيـة الأخرى ، حيث كانت هناك ارض مديدة من الحشـائش الخضراء تهبط بوداعة الى حيث رايت المزيـد من الأراضى الواطئة .. وعبرناها ، ثم جئنا الى طرف الأراضى المشبعة بالمـاء وهنـاك استرحنا قليـلا ثم مضينا . كانت أسـوأ من الأرض التى عبرناها فى قاربنا وكانت رائحة العفن حولنا فى كل مكان وتتحرك فيها ثعـابين مائيـة سوداء بسرعـة كبيرة . وكانت الأصوات الوحيدة هى اصوات الضفادع العاليـة وهى اكبر ضفادع رأيتها فى حياتى وفوقنا صرخات الطيور الهائمة فى السماء ..

وصلنا عند الغروب الى قطعة الأرض الصلبة ، وكانت عبارة عن جزيرة صغيرة تقف وحيدة فى الأرض المهجورة . وهنـاك انفقنا الليل واقفين أو راقـدين

حول النيران .. ولكن ظلت اصوات الضفادع مدة طويلة هي وعضات الحشرات . واصبح النوم مستحيلا .

نظرت الى « ليو » الذي كان راقدا الى جواري. وكانت عيناه تلمعان ووجهه أحمر وشفتاه جافتين .. كان مصابا بأزمة ملاريا حادة . وكان جد مريض . وجلست « اوستين » قلقة الى جانبه ..

واخيرا نمت قليلا واستيقظت بينما كانت الشمس تصعد الى كبد السماء . كان « ليو » جالسا ممسكا برأسه بين يديه ..

سألته : كيف تشعر الآن ؟

اجاب بضعف :

ـ انا جد مريض .. اشعر كأنني سأموت !

وكان « جوب » مريضا هو الآخر .. ولكن ليس مثل « ليو » ..

سألت « بلال » : هل يستطيعان أن يذهبا ؟

فاجاب : يجب أن يذهبا ان بقاءهما هنا معناه الموت .. !

وصلنا اخيرا الى جزء خطير جدا .. فقد كان الرجال امامنا غائصين حتى ركبهم فى الماء . وسار امامنا مرشدان بعصى طويلة يجربان الأرض وهما يسيران .. ثم سمعت صرخة مفاجئة ثم كثيرا من الصياح ..

كان أحد رجال « بلال » قد وضع قدمه على ثعبان . وسقط الكرسي على الأرض وسقط « بلال » فى الماء وعندما تمكنت من الذهاب الى طرف الماء لم يكن من الممكن رؤية الرجل أو « بلال » .. ولم يمكننا رؤية الرجل حامل الكرسى مرة ثانية واستطعت ان اخمن اين « بلال » لأنى استطعت ان ارى المقعد هناك فى الماء وقطعة القماش التى وضعت فوقه لحمايته من الشمس ولكن « بلال » نفسه لم تمكن رؤيته ..

**وصرخ واحد من الرجال:** انه هناك .. هناك !

ولكنه لم يفعل شيئا لمعاونته ..

**صرخت انــا :** افسحوا الطريق !

وقفزت الى المــاء . وأخيرا وصلت الى المكان الذى كان « بلال » يناضل فيه تحت قطعة القماش وخلصته منها ثم جذبته الى الأرض ..

وقف هنــاك والمــاء القــذر يســيل من فــوق راســـه ..

**وقــال :** يا للكلاب ! انتم تركتمونى هنا ، انــا ابوكم ، لكى أغرق . سأتذكر هذا ! اما أنت يابنى ايها « السعدون » فأنا صديقك الى **الأبد** .. لقد انقذت حياتى .. ربما يأتى يوم سانقذ فيه حياتك !!

# ( ١٤ ) مسكن .. (( هى ))

وقبل الغروب جئنا من الأرض المنخفضة الى واد يرتفع الى أعلى فى شكل موجات . ووقفنا الليلة تحت بضعة أشجار . وطول الليل كنت مشغولا بمساعدة « أوستين » على رعاية « ليو » الذى كانت حالته سيئة جدا .. وفى صباح اليوم التالى كانت حالته قد ازدادت سوءا ..

وسريعا بعد شروق الشمس صعدنا الى قمة التل المعشوشب..ورأينا اسفلنا بلدا غنيا بالحشائش والأشجار والأزهار . وعلى بعد مسافة كان هناك جبل مشكل تشكيلا غريبا جدا . كان على قدر ما تمكنت من الرؤية ، مستديرا تماما تقريبا ، وتقاس دائرته بحوالى سبعة أميال ، وصعدت جوانبه مستقيمة من الوادى كأنها جدران ، وقمة هذه الجبال تكاد تضيع فى سحب الصباح المبكر . واذ جلست فى مقعدى ارقب « بلال » الذى قال : هذا هو منزلها هى ــ التى ــ يجب أن تطاع !

قلت : انه رائع .. ولكن اعتقد أن تسلق هذه الصخور أمر صعب للغاية !

ــ انظر الى هذا الممر تحتنا ..

نظرت ورأيت ما بدا انه نهر أو نهر جاف أو ربما كان ممرا مائيا من صنع الانسان .

وشرح « بلال » : فى وسط حلقة دائرة الصخور كانت ذات مرة بحيرة وكان مركز البحيرة اعلى من

هذا الوادى . والناس الذين بنوا مدينــة « كور » شقوا ثقبا فى قــاع الجبل بحيث تدفقت الميــاه من البحيرة وصنعوا هذه الأراضى المنخفضة الخطيرة التى جئنا عليها . وعندما تدفق المــاء كله من البحيرة تركوا ممرا يستطيع الرجـــال أن ينفذوا فيه الى دائــرة الصخور وبنوا المدينة على جزء من مرقد البحيرة وكان الباقى حقولا لحيواناتهم وأراضى بستانية ..

وأخيرا وصلنا الى وجه الحائط الصخرى وجئنا الى فم الفتحة المظلمة فيه .. وكان جزء من هــذه الفتحة يملأه نهر صغير ما لبث أن أدير عن ممرنــا الجاف ليتدفق من ممرنا المــائى الى طريق آخر ، بعد أن تركنا الصخرة . وبخــلاف جانب هذا النهر فى الممر المظلم رأيت طريقا أعلى من النهر ..

انزلت مقاعدنا وجاء « بلال » وأخبرنى أنه يجب تغطية عيوننا حتى لا نعلم أسرار المدخل .. فعلوا بنا هذا ثم بدأنا من جديد .. كان شــعورا غريبا هــذا الذى احسسنا به اذ حملنا داخل قلب الصخرة .

لا نعلم اين نحن ذاهبون . جلست وانـا استمع الى وقع خطوات اقدام الرجال واندفاع الميـاه . وسريعا ما بدأ الرجال يغنون وبدت أصـواتهم غريبة وحزينة وهى ترن بين السقف الصخرى والجدران من حولنا . وظللنا نستدير الى هذا الطريق وذلك حتى لا أستطيع ان أحتفظ بخريطة فى ذهنى عن الطريق الذى سرنا فيـه ..

وبعد نصف سـاعة شعرت إننـا خرجنا الى الهواء الطلق وبدا الضوء ملتمعا من خـلال القماش المربوط فـوق عينى . ثم سمعت « بـلال » يعطى الأوامر برفع الأغطية عن عيوننا ..

ورأيت اننا كنا الآن داخل جدران الصخر ..

ولم تكن هذه الجدران من الارتفاع كما كانت فى الخارج ذلك لأن مرقد البحيرة كان أعلى من المركز . ونحو مركز الوادى ظننت أنى أرى خرائب وأطـلالا بينما كان بقيتها مقسما الى حقول وحدائق . ولم

يكن لدى وقت لأرى المزيد من المكان لأن جمهرة من سحب الأحجار قد جاءوا والتفوا حولنـا .. وبدوا متشابهين مثل النـاس الذين رأينـاهم من قبل فى الكهف ..

ثم جاءت نحونا جماعة من الرجـال المسلحين يقودهم ضابط يجرون نحونا . وبدوا انهم آتون من وجه الصخرة مثل طوابير النمل الآتية من تلالها . وكان هؤلاء هم جماعتها من الحراس .. وذهب قائد الحرس نحو « بلال » وحياه . ثم دارت الجماعـة كلها وسارت على طول جانب الصخرة العالية وتبعهم حاملونا .

وبعد ان سرنا حوالى نصف ميل توقفنـا عند مدخل كهف كبير حوالى سـتين قدما فى الارتفـاع وثمانين قـدما عرضـا .. وهنـا أمرنا « بلال » أن ننزل .. ولكن « ليو » طبعا حمل الى الداخل . وكان الجزء الداخلى من الكهف تضيئه المصابيح . وكانت جدرانه مزينة بالصور . وغالبا ما تكون صور الصيد

او الرقص وقلة من صور المعارك . ومن هذه الصور الأخيرة فهمت أن قليلا من الجيوش قد جاءت الى هذه النواحي .تحارب فى هذه البـلاد ان كانت قد جاءت على الاطلاق . وكانت هناك كتابات بين الصخور ولكن الحروف فيها كانت مجهولة لدى ..

وقابلنا خادم يرتدى الزى الأبيض وانحنى أمامنا ولكنه لم يقل شيئا . وهذا لأنه ، كما علمت بعد ذلك، لم يكن يتكلم او يسمع ..

وكان هناك ممران يخرجان من الكهف الكبير . واحد منهما فى كل ناحية . فى الفتحة التى فى الجانب الأيسر كان حراس .. وأعتقد ان هـذا الممر يؤدى الى المكان الذى تعيش فيه ( هى ) .. وأبدى الخادم انه يجب علينا أن نمر فى الممر الأيمن .. وجئنا الى ستار ، ومن ورائه وجدنا غرفة يتسلل اليها الضـوء خلال فتحة محفورة فى وجه الصخرة . وترك « ليو » وبقيت معه « أوستين » .. ولو أن الخادم نظر اليها نظرة غريبـة وقادنا الى غرفـة اخرى حيث بقى

« حوب » .. ثم الى غرفتين أخريين واحدة يحتلها « بلال » والثانية لى ..

كانت هناك قدور ماء فى جميع تلك الغرف ، وبذلك أخذت انا و « جوب » حماما . وكنا سعداء ان ننظف انفسنا ثانية .. واذ انتهينا جاءت فتاة شابة وادت اشارات لترينا ان الطعام كان جاهزا لنا فى الغرفة التالية التى لم ندخلها بعد .. ويبدو أن الفتاة لم تكن قادرة على الكلام ..

وفى كل جانب من جوانب تلك الغرفة ، كانت هناك مناضد صخرية غريبة وفوق كل منضدة ممر هوائى . وفى احدى المناضد كانت هناك أمكنة حفرت على هيئة رجال .. مكان تستريح فيه الرأس ، وآخر للأجزاء السفلى من البدن وموضع للجزء الأسفل من البدن .. وكانت هناك صور حول الجدران .. وكانت هى الأخرى صورا غريبة غريبة جدا .. !!

بينت الصورة الأولى موت انسان فى منزله ..

والثانية للرجل موضوعا على المائدة الحجرية التى وصفتها ، وكان ثلاثة رجال يقفون جانبا يصبون السائل فى فتحة أجريت فوق قلب الرجل ، وقد غطيت انوف هؤلاء الرجال وافواههم لكأنما تحميهم من البخار ورائحة السائل .. وفى الصورة التالية نرى الرجل يوضع فى القبر وعند الراس والقدم مصابيح موقدة ..

كان واضحا لى أن هذه الغرفة كانت هى الغرفة التى عولج فيها الموتى ليحتفظ بهم بتلك الطريقة السحرية التى عرضها « بلازل » فعلا .

ويمكنك أن تفهم كم كنت جوعان بعد رحلتنا .. و « جوب » ايضا قد تأمل فى تلك الصور !!

## ( ١٥ ) (( هى )) تريد رؤيتك !

بعد تناول الوجبة جلست انا و « جوب » مع « ليو » لمدة ساعة .. ثم جاء « بلال » **وقال بلهجة بالغة الجدة :**

ـ ان هـذا شرف أتيح لقلة من الناس .. « هى » قالت انها ترغب فى رؤيتك !

واظن انه قد دهش للطريقة الباردة التى اخذت بها هذه الأخبار . ونهضت لأتبعه واذ فعلت هــذا رايت شـــيئا يلتمع على الأرض والتقطته . كان هو الخاتم الذى كان فى الصندوق الحديدى .. الخــاتم مع العلامات « ابن الشمس » المنقوشـــة عليه واعتقد انه سقط من أصبع « ليو » أثناء مرضـــه وعلى ذلك وضعته فى اصبعى لكى ابقيه آمنا .

وجئنا للممر الثانى وذهبت امام الحراس .. ثم قابلنا اربعة خدم وكانوا رجلين وامراتين .. وانحنوا امامنا دون كلام . وذهب الرجلان الحارسان اولا ثم تبعتهما المراتان .. ومررنا امام ابواب عديدة عليهـــا ستائر فكرت انها لابد أن تكون غرف الخــدم . ثم جئنا الى ممر له باب وحارسـان يقفان أمامه . ومن خلال هذا الباب نفذنا الى غرفــة كبيرة فيها ثمــانى او عشرة نساء ، معظمهن شابات جالسات يقمن بشغل الابرة .. لم يقلن كلمـــة ، لم تكن واحــدة منهن تنطق او تتكلم او تسمع !

وفى نهاية الغرفة كان هناك ممر وبابه عليه ستائر

غليظة .. وفى مواجهته وقفت فتاتان براسيهما منحنيين وذراعاهما على صدريهما ، واذ اقتربنا مدت كل منهما ذراعها وشدت الستائر وفتحتها .

ثم قام « بلال » بعمل غريب حقا !! .. نزل على يديه وركبتيه ومضى امامنا على هذا النحو ..

وقال ناظرا الى أسفل : الى اسفل يا « سعدون » .. على يديك وركبتيك .. نحن ذاهبون الى حضرة « هى » .. ولكنى لم ارد أن افعل هذا ، وشعرت بالخوف ولكنى مضيت اسير ببطء وراء « بلال » وشعرت بحماقتى بسبب المجىء الى هذه الغرفة وكدت أشعر بالرغبة فى الضحك .

وكان فى نهاية الغرفة ممر وباب عليه ستائر رفيعة لمع من ورائه ضوء ولم يكن احد فى الغرفة الا نحن ..

واخيرا وصلنا الى الستار وهناك تمدد « بلال » على الأرض .

شعرت أن هناك واحدا ينظر الينا من الناحية الأخرى من الستار ، وبدات أشعر بالخوف .. لست ادرى لماذا ؟

كان المكان ساكنا الى هذا الحد . وكانت ثمة رائحة غريبة .. رائحة ثقيلة .. رائحة ازهار . وشعرت بالمزيد من الوحدة ..

ومرت الدقائق ثم فتحت الستائر .. !

# ( ١٦ ) وحيدا مع الملكة

قال صوت بالعربية القديمة :

ـ إيها الغريب لمــاذا أنت خائف ؟ !

وكان هذا أجمل صوت سمعته في حيــاتي .. مثل همس جدول صغير .. أو صوت مطر يسقط على المياه الساكنة .. مثل صوت طير هادىء يغرد عند

شروق الشمس .. مثل احب موسيقى تسمعها اذنك .. !

ثم ظهرت يد بيضاء خَلال الستائر وجذبتها وفتحتها ..

كان وجهه الملكة مغطى بقناع حريرى ابيض .. وكان جسمها مغطى .. كما تغطى جثة بثيابها الوقورة .. وحتى مع هذا استطعت ان اعرف ان الشبح الملثم امامى كان شبح امراة شابة جميلة عندما حركت يدا أو قدما ، كانت هناك تلك الرشاقة والرقة ..

**قالت مرة ثانية :**

ـ لماذا انت خائف ايها الغريب ؟ !

ورفعت احدى ذر' يها ور يت شعرها الذى انهال على ثوبها الثلجى الى قدميها تقريبا ..

**اجبتها :** انه جمالك الذى يشعرنى بالخوف يا مليكتى !

**وسمعت (( بلال )) يهمس هناك على الأرض :**
**حسن .. حسن يا (( شعدان )) !**

**قالت :** ارى ان الرجال لم ينسوا كيف يتكلمون الكلمات الطيبة !

**وقـالت :** والآن قـل لى .. كيـف جئت الى هنـــا ! .. مـاذا تريـد أن تراه بمجيئـك الى هنا ؟ .. لماذا لا تفكرون كثيرا بانفسكم حتى وضعتم انفسكم تحت رحمتها .. تحت رحمة (( هى - التى - يجب ان تطاع )) ؟ .. وكيف استطعتم ان تعرفوا لغتى بهذه الجودة ؟ .. انها لغـة قديمة .. أهى لغـة حية فى العالم الى الآن ؟ !

**ثم نظرت الى (( بلال )) :** آه .. انت هناك .. قل لى لماذا هوجم هؤلاء الرجال وتعرضوا للقتل بالقدور ؟ .. ما معنى هذا ؟

**وقال دون ان يرفع راسه :** قادت هؤلاء الرجال امراة كانت غاضـبة من (( جوب )) .. ولكن هـذا

الرجل ، « السعدان » والآخر ، « الأسد » قتلا المراة وحاربا حربا جريئة حتى جئت وانقذتهم .. وكل الأشرار الذين اشتركوا فى الهجوم عليهم قد جلبوا هنا الى « كور » لكى تنزلى عليهم حكمك !

ـ اعرف ذلك . غدا ساحاكمهم .. اما انت فانى اغفر لك ولكن كن اكثر حذرا !

ونهض « بلال » على ركبته وانحنى مرتين ثم استدار وخرج من الغرفة بنفس الطريقـة التى دخل بهـا ..

واصبحت وحدى مع الملكة المخيفة !

## ( ١٧ ) عائشة ترفع الحجاب

**قـالت :** ان الرجل ذا اللحية البيضاء .. ذلك العجوز الأحمق قد ذهب .. وانا تعبت من انحنائهم لى وخوفهم منى .. واشـــعر فى بعض الأحيـان انى استطيع أن انزل عليهم بما لدى من سحر .. فقط لكى ارى وجـوه الآخـرين تتحول الى بيضـــاء من الخوف .. !

وفتحت الستار جانبا حتى استطيع ان ادخل الغرفة التالية ..

ووراء الستار كانت هنــاك غرفة يبلغ اتساعها حوالى اثنى عشر قدما .. على جانب منها كان مقعد ومائدة محملة بالفواكه .. وجرة مــاء .. وتضىء المكان مصابيح خافتة الأضواء .

**قــالت** : اجلس .. لا سبب لديك يدفعك الى الخوف منى .. واذا كان لديك سبب فلن تخـافنى زمنــا طويلا لأنى ســأقتلك ! الآن قل لى .. كيف استطعت أن تتكلم لغتى ؟

**قــلت** : لقد درستها .. ولا زالت هى لغة الكلام فى مصر !

ـ آه .. الازالت هناك مصر ؟ ! الايزال يحكمها الفرس ؟

ـ كلا .. خرج الفرس من مصر منذ اكثر من الفى عــام .

ـ اما تزال أورشليم باقية ؟ لقد ظلوا يتحدثون عن معلم عظيم وزعيم كبير سـوف يأتى .. اتراه قد جاء ؟

ـ السيد المسيح جاء .. ولا تزال تعاليمه قائمة فى العالم .

ـ آه لقـد كان هذا بعـد زمنى .. كنت فى اورشليم ذات مرة .. والقوا على احجـارا لاتزال آثارها على ذراعى انظر !

وسحبت الغطاء وبينت لى علامة حمراء صغيرة على بياض جلدها ..

امتلأت فزعا وخوفا وعجبا **وقلت :**

ـ ولكن ايتها الملكة لقد مر نحو الفين من السنين منذ ان ظهر السيد المسيح فى اورشـليم .. كيف تستطيع امراة ان تعيش الفى عام ؟ !

ونظرت الى وبدا أن عينيهـا تفتشان عن قلبى **وقـالت :**

ـ ايها الرجل الأحمق .. الا تزال تعتقد أن كل شيء يموت ؟ لا يوجد هناك شيء اسمه الموت .. انه فقط تغيير .. ستة آلاف عـام مضت على الناس الذين رسموا هذه الصور على الجدران .. الكل ماتوا بسبب مرض خطير .. الا انهم ليسوا أمواتا .. ربما انجذبت أرواحهم نحونا فى هذه الدقيقة !

ونظرت حولها وقالت :

ـ فى بعض الأحيان يبدو لى أن عينى يمكن أن تراهم .. ولكنهم موتى بالنسبة الى العالم .. انهم موتى الى وقت ما .. ولكنهم يولدون من جديد .. انا عائشة .. هذا اسمى !! .. انا عائشـة انتظر واحدا احببته ان يولد من جديد . مات منذ الفى عام . لـماذا تتوقع اننى وأنا التى بهذا الجمال وبهذه القوة اعيش هنا مع شعب متوحش .. ؟ !

قـلت : لا اعرف .

اجابت : ذلك لأننى انتظر هـذا الذى أحبـه

لأننى أعرف أنه عندما يولد من جديد سـيأتى الى هنـا .. !

**قـلت** : اذا كنا نحن الرجـال نولد من جديد لمـاذا لا يكون هذا حقيقيا بالنسبة لك ؟ انك تقولين انك لم تموتى ابدا !

ـ هذا حقيقى .. لأنى عرفت سر الحيـاة .. والموت .. واسرارا أخرى كثيرة أيضا .. أمتعجب انت كيف عرفت انكم قادمون الى هـذه البلاد وهكذا أنقذتكم من شعب الأحجار .. ؟ أنظر الى هذه المياه !

وقفت ونظرت فى مياه الدورق ووجدت المـاء يسود ثم يتضح ثم رأيت قاربنـا فى المـاء . وكان « ليو » راقدا فيه ، نائما ورأسـه مغطـاة لابعـاد الحشرات . وانا و « جوب » و « محمـود » نجر القـارب ..

**وصرخت انـا قائلا** : ما هذا ؟ أهو سحر ؟

**اجـابت** : كلا انه ليس سحرا .. انما استطيع

أن أستدعي صورا من الماضي .. ولكني لا أستطيع أن أرى ماذا سيحدث غدا .. رأيت تلك الصورة في الدورق وعلى ذلك فقد أرسلت وأنقذتكم .. قل لي .. كيف حال هذا الشاب الذي كان نائما في القارب ؟ أنا أحب أن ألتقي به .. ولكنهم أخبروني أنه مريض ومجروح .

**قلت** : انه جد مريض .. الا تستطيعين أن تفعلي شيئا من اجله ؟ !

ـ دعه ينام .. يوما آخر . من الأفضل أن يقاوم المرض بمحض قوته .. ولكن اذا لم يستطع فسوف اذهب اليه .. من الذي يعتني به الآن ؟

ـ خادمنا « جوب » .. وهناك امرأة من شعبك اسمها « أوستين » يا مليكتي .. !

ـ شعبي ؟ هؤلاء العبيد ليسوا شعبي .. ولا تناديني باسم الملكة .. لقد تعبت من هذا الاسم ناديني باسم « عائشة » . هذا الاسم يجعلني أفكر في

المـاضى ! .. اما عن « أوستين » .. فلقد أخبرونى ذات مرة عن خطر عظيم يأتينى عن طريق امراة .. وانى اتساءل ...

ثم توقفت **وقـالت** : « سأرى » ..

ونظرت فى المـاء **وقـالت** : انظر .. ثم قالت بسرعة .. هل هذه هى المراة ؟

ونظرت فى المـاء ورايت وجه « اوستين » وهى تنظر برفق الى شخص اسفلها ..

**قلت** : نعم .. انها تراقب « ليو » وهو نائم !

**قالت** : « ليو » ؟ الأسـد .. ان الأمر غريب .. ولكن هذا مستحيل ..

ومررت يدها وتلاشت الصورة .. **ثم قالت** :

ــ الديك شيء ترغب أن تسألنى عنه يا « هوللى » قبل أن تذهب . ان شعب الأحجار شعب متوحش .. انهم لا يعلمون شيئا .. وخـدمى لا يستطيعون أن يسمعوا أو يتكلموا .. هل هناك شيء ؟

أجبت : نعم يا « عائشة » .. اريد ان أنظر الى وجهك !

ضحكت وقالت هناك قصة اغريقية عن رجل مات لأنه انكشف على قدر هائل من الجمال .. لو أريتك وجهى ربما إصابك اذى !

أجبت : أنا لست خائفا من الجمال ! .. لقد تخليت عن مثل كل هذه الأمور .. فان الجمال كله يزول كما تذوى الأزهار ..

ورفعت ذراعها وجذبت ببطء نقابها .. ربـاه كيف يمكن أن يكون هناك مثل هـذا الجمـال ؟ !! لا أستطيع ان اصفه .. وكيف يمكن ان يكون مثل هذا الجمال شريرا ؟ !

وظللت وقتا لا استطيع ان أبعد عينى بعيـدا عنها . ثم وضعت يدى أمام وجهى . وعندما فعلت هذا رأيت ، من خلال اصابعى ، تغييرا كبيرا يطرأ عليها كانت عيناها مثبتتين على شيء بنظرة فزع ..

**وهمست :** يا رجـل .. من اين جئت بهـذا الخاتم ، تكلم والا قتلتك بسحرى ! لقد اخفتك .. اغفر لى .. ولكن الخـاتم من أين جئت به ؟ !

**قلت :** التقطته!

**قالت :** هذا امر غريب ، غريب جدا . رأيت حجرا مثل هذا مرة مع كاليكريتس .. كان يلبسـه دائما .. وكان يقيمه تقييما عظيما جدا .. اذهب !.. اذهب .. !!

# ( ١٨ ) لعنـة عائشـة

لم أستطع أن انام بعد ليلة كهذه . رقـدت على فراشى متيقظا . وأخيرا فى النهاية فكرت أنـه من غير المجدى أن أنام . وقررت ان اقوم وانظر كيف أصبحت صحـة « ليو » .. وذهبت فى هـدوء الى غرفتـه ..

كان شـديد القلق . والى جانبـه جلسـت « أوستين » نصف نائمة . كانت ممسكة بيده .. اما « ليو » المسكين فقد كان وجهه يشتعل حمرة ، كانت هناك ظلالات داكنة تحت عينيه . وكانت أنفاسه ثقيلة .. كان مريضـا .. وهبطت على نفسي مشـاعر فظيعة بأنه ربما كان يحتضر .

عدت الى غرفتى بنفس الهدوء الذى جئت به .. ولكنى مع ذلك لم استطع أن أنـام . وفجأة لاحظت بابا ضيقا قائما فى الحائط .. أخذت المصـباح ورحت أتحقق من أمره . انه ليس من المـامون فى بلد غريب أن يكون هناك ممرات تؤدى الى غرفة نومه من حيث لا يعرف الانسان .. مررت فى المنفذ وقادنى هـذا الى سلم .. وفى نهاية قاع السلم .كان هناك ممر أصفر منحوتا فى الصخر .. « يجب أن أذهب » .. هكذا فكرت بعد أن أصبحت وسط هذا الكهف الكبير ..

واذ ذهبت حول زاوية احد الأركان ، هبت فجأة ريح أطفات المصباح .. ووجـدت نفسي غارقـا فى

الظلام .. ونظرت أمامى فى هذا الظلام وبعيدا رأيت وميضا ضعيفا لنار .. وفكرت ربما استطعت أن أوقد مصباحى هناك ثانية .. وهكذا تحسست خطواتى خطوة خطوة بقدمى ومحتفظا بيدى على الحائط .. ومضيت الى الأمام بحذر ..

رايت ستارا من ورائه تلمع نار .. وكان ضوء النار شديد البياض ولم يكن هناك دخان .. والى اليسار كان هناك رف صغير وفوقه كانت جثة انسان مغطى بقماش ابيض .. وكانت هناك امرأة جالسة الى جوار النار . كانت فى الحقيقة جالسة بالنسبة الى فى مواجهة الرجل .. ثم وقفت . وكانت ( هى ) مرتدية ثيابها كلها ذات اللون الأبيض الا أن وجهها كان متغيرا .. كانت تبدو مليئة بغضب مجنون .. ومع ذلك رايت فى عينها فزعا والما اكبر كثيرا مما يحتمل المرء .. رفعت ذراعها وسمعتها تهمس قائلة : اللعنة عليها ! .. عليها لعنتى تلك المرأة المصرية

لأن سحرها أنقذها منى لأنها اخذت منى حبيبى .. اللعنة عليها وهى تموت ، واللعنـــة عليها وهى تولد ثانيـــة ..

قالت هذا مرة ومرة اخرى ثم بدات تبكى وقد جلست جوار النار : الفا عـــام والحب يأكل قلبى .. انتظرت الفى عـــام .. الفا عـــام والحب يأكل قلبى والشر الذى فعلته أبدا قبلى أو أمامى .. ان الزمن لا يجلب الغفران .. آه يا حبيبى لمـــاذا قتلتك ولم أستطع أن أموت ولكن ، واأسفاه ، لا أستطيع أن أموت !!

ثم ذهبت الى المكان حيث كان الرجل الميت راقدا وصرخت تقول : آه يا كاليكراتيس يجب أن أنظر الى وجهك !

وسحبت الغطاء ثم هوت على ركبتيها الى جانب الرجل الميت وضغطت شفتيها على الجثـــة الخاليـــة من الحياة وبكت ..

ولم استطع انا أن اتحمل أكثر من هــذا .. استدرت بعيدا .. كان ضوء باهت ضعيف ياتى الى الممر خلال ممر هوائى خفى . ووصلت غرفتى آمنــا وهويت على فراشي .. !!

# ( ١٩ ) حــكم عائشة

عندما فتحت عينى كان « جوب » فى الكهف .. لبست ثيابى وتناولت بعض الافطار ثم ذهبت لرؤية « ليو » وسألت « أوستين » عن حاله .. ولكنهـا هزت رأسها وبدأت تبكى .

وعندما ذهبت الى هنـــاك اتجهت الى الكهف

الرئيسي وكان مليئا الآن بشعب الأحجار .. ومررنا خلال الزحام حتى وصلنا الى مكان مرتفع فى النهاية.. وكانت هناك ممرات كثيرة .

قال « بلال » : ان هذه الممرات تؤدى الى كهوف مليئة بالجثث !

واضاف : الواقــع هو ان الجبــل كــله ملىء بالموتى .. ولكن هؤلاء الموتى كلهم محفوظون حفظــا تاما !! .

وعلى الجزء المرتفع كان هناك كرسى مصنوع من الخشب الأسود .. وفجــأة دوت صرخة : « هى ! هى ! » والقى النــاس جميعا بأنفســهم على الأرض وبقيت انا وحدى واقفا ! .. وجاء صف من الحراس من ممر الى اليسار .. وكانت تتبعهم عشرون خادمة ثم عشرون خادما ثم عشرون خادمة يحملن مصــابيح وفى النهاية جاءت عائشة نفسها مقنعة من راســها الى قدمها . وجلست على الكرسى ، ثم تكلمت الى باللغة

اليونانيـة ، وأعتقد أنهـا لم تكن تريد للآخرين أن يفهموا شيئا مما تقول .

ــ يا « هوللى » .. تعال هنا .. واجلس عند قدمى .. وانظر الى كيف أحاكم المفسدين .. هـل نمت نوما جيدا يا « هوللى » ؟ !

قـلت : ليس جيدا ..

فقالت :

ــ أنا أيضـا نمت نوما رديئا .. لقد مرت بى أحلام كثيرة .. حلمت بواحد أكرهه وواحد أحبه .. فليتقدم الرجال !

وعندما احضر الرجال قالت عائشة لى : هـل تعرف هؤلاء الرجال قل لى ماذا حدث !

فقلت بأوجز عبارة ممكنة .. وسمعت قصتى فى صمت تام .. ثم قال « بلال » القصة نفسها من وجهة نظره ..

**قالت « هى » فى صوت كبرودة الثلج : مــاذا** لديك من قول ؟

لم يكن هناك من جواب . ثم طالب أحد السجناء بالرحمة . وساد صمت . ثم وقف السجناء هنــا برؤوس منحنية . وظل الناس يلقون بأنظـارهم الى **الأرض** ناظرين خـلال أصـابعهم الى الملـكة .. ثم **تكلمت :**

ـ سيؤخذ بهم الى ساحة الموت ! .

ورجونها أن تأخذها بهم شفقة ..

**واجابتنى بالاغريقية : لا يمكن إن يحدث هذا ..** فلو بينت لهم رحمــة لأصبحت حيــاتكم مهددة بالأخطــار .. !

**واستدارت الى الكابتن وقالت :** خذهم !!

# ( ٢٠ ) كهــوف المــوتى

اقتيد السجناء بعيدا .. وذهب الحراس .. وخرج الناس من القاعة على ايديهم وركبهم .. وتركونا وحدنا فيما عدا خادمين . ووقفت لأنصرف **فقالت :**

ــ ابق يا « هوللى » .. اتحب أن ترى بعضــا من عجائب هذا المكان ؟ انظر الى هذا الكهف ! عشرات

من آلاف الرجـال عملوا سنوات ليصنعوها .. ان
اهل مدينة « كور » مثل قدماء المصريين .. يبدو انهم
كانوا يفكرون فى الموتى اكثر من الأحياء !

واشارت الى بعض الكتابة على الجدران ، ورفع
خدمها مصابيحهم وقرات « هى » لنا ما هو مكتوب :

« فى هذا العام ، اربعة آلاف ومئتان وخمسون
عاما .. منذ بناء مدينة « كور » .. وهـذا الكهف
هو مقر راحة أبدى للموتى وقـد بنى على يد الملك
تسنو ، ملك كور » ..

وقادتنى الى وسـط الكهف حيث كان هنـاك
حجر مستدير فى الأرض . وكان هناك مربع من الكتابة
على الجدران قربه . وقرات « هى » :

« انا جونيو ، كاهن مدينة « كور » أكتب هـذا
بعد اربعة آلاف وثمانمائة وثلاثة اعوام منذ بناء هذه
المدينة .. سقطت « كور » .. وهـذا هو قبر شعبها .
ومنذ عامين جاءت سحابة على مدينة « كور » ووقع
على النـاس مرض غريب .. انقلب لونهم اسـود

وماتوا .. ماتوا .. الأغنيـــاء والفقراء ، المسـنون والشـــباب .. وكان الموتى أكثر من أن يحتفظ بهم حسب عادات شعبى .. وهكذا ألقيت الجثث فى حفرة عميقة تحت الحجر المستدير .. القلة الباقيـــة الذين بقوا ذهبوا الى الساحل واستقلوا سـفينة وأبحروا متجهين شمالا .. أنا جونيو الذى يكتب هـذا آخر رجل ترك حيا فى هذه المدينة العظيمة » .

ـ هل فكرت يا « هوللى » أن شعب « كور » الذى أبحر شـمالا هو الذى انجب المصريين القدماء الأوائل ؟ تعال وسأريك المكان العميق الذى تتحدث عنه الكتابة .

تبعتها الى ممر جانبى وهبطنا بضع درجات ثم سرنا فى ممر يتجه الى أسفل وفجـأة انتهى الممر .. ورفع الخدم مصابيحهم ورأيت منظرا لن أراه مرة ثانية أو أرغب فيه ..

كنا واقفين على طرف حفرة عميقة فى الصخر..

وعميقة بحيث ان كنيسة القديس بول فى لندن كان يمكن أن توضع فيها . ولكنى رايت انها ملئت بكومة كبيرة من العظـام ، آلاف الأجـداث من العظام الميتة وبعض العظام بيضاء وبعضها بجـلد جـاف لايزال ملتصقا بها ..

اطلقت صرخة عجب وخوف . وكان لصـوتى صـدى يدوى فى فضاء هـذه الغرفة .. وتدحرجت راس كانت قد بقيت آلاف السنين ساكنة على قمـة الكومة .. وتدحرجت أحجار أخرى كثيرة كانت تسقط فى اثرها كما لو كانت الحياة قد دبت فى المكان كله .

**قـلت** : دعينـا نذهب . لقـد رأيت ما فيـه الكفايـة ..!

والتفت الى ممر جانبى يؤدى الى مكان بعيد عن الطريق الذى جئنا منه ..

**قـالت** : حتى عند حدوث المرض العظيم احتفظ شعب كور دائما بموتاهم .. وسترى !



كانت مملوءة بكومة كبيرة من العظـام ..

ودخلنا غرفة صغيرة مثل هذه التى نمت فيها عند أول وقوف لنا بالمكان . ولكن كان فيها رفان حجريان وعلي كل رف منهما يرقد جسد مغطى بقماش ..

**قالت :** ارفع الغطاء يا « هوللى » ! ..

وعندما تأخرت أنا جذبته « هى » نفسها .. وهناك رأيت امرأة راقدة وكانت فى حوالى الخامسة والثلاثين من العمر . وكان وجهها بادى الكمال .. كما فى الحياة .. كما لو كانت نائمة .. وفى ذراعيها طفل ضغط بوجهه على صدرها . منظره جد جميل وحزين بحيث أدرت وجهى بسرعة !

وعلى الرف الآخر كان زوجها وهو رجل عجوز وذقنه شيباء .. أعتقد أنه قد مات منذ عدة سنين وجاء أخيرا ليستريح بجانب زوجته وطفله ..

دهبنا الى عدد من المقابر المماثلة ، فى بعض منها

كان « الحفظ » سيئا .. وبلمسة واحـدة تسقط الجثة غبارا .. ولكن معظمها وكأن الموتى المحفوظون فيها فى حالة نوم ..

**وقالت أخيرا :** تعـال .. سأريك « تيسـنو » الملك العظيم !

**قـلت :** لقد رأيت ما فيه الكفاية .. خذبنى بعيدا .. !!

# ( ٢١ ) « عائشة » .. و « ليو »

عندما عدنا الى غرفة « عائشة » اســـتدارت نحوى وقــالت :

ــ سآتى وسأرى هــذا الشاب الذى تسميه الأســد .. لابد أن يكون المرض قد سار فيه سيرته ، واذا كان سيموت فاني سأنقذه .. اذهب اليه ! وسآتى

عندما اكون قد جهزت ما نحن فى حاجة اليه .

ووجدت « جوب » و « أوستين » فى حـالة من الحزن وقـالا :

ـ « ليو » يموت !! لقد كنا نبحث عنك فى كل مكان ..

رايت انه فى خلال ساعة ، او ربما فى بضـع دقائق سيكون من المستحيل معاونته .. وكنت شديد الغضب لأنى تركته . كان « جوب » يبكى بصـوت مرتفع . وعندما نظرت اليه خرج ليخفى نفسه واحزانه . ثم عاد جاريا وقد وقف شعر راسه من الفزع !

صـاح : الا فلي‍ ‍نـدنا الله يا سيدى .. ها هنا واحد من القبر قادم .. لمر ‍ ‍ عونا .. !

علمت انه لابد انه راى « عائشة » فى ملابسـها القبرية .. جاءت الى الغرفة .. وجرى « جوب » خائفا مرتاعا الى الزاوية .

**قلت :** لقد جئت فى الوقت المناسب يا عائشة . . ذلك أن الولد يرقد الآن فى لحظات الموت !

**قـالت :** اذا لم يكن ميتا بالفعل فانى استطيع أن أرده الى الحياة . . قل لهذا الرجل وهـذه الفتاة أن يتركانا . .

ذهب « جوب » على الفور ولكن « أوسـتين انتظرت **وهمست :** ماذا تريد « هى » ؟ . .

وكانت « أوستين » مقسمة النفس بين خوفها من الملكة وقلقها على « ليو » .

ـ أليس من حق المرأة أن تبقى مع رجلها ؟

**قالت عائشة :** اذهبى !!

وعندئذ هوت « أوستين » على يديها وركبتيها وخرجت من الغرفة . .

ذهبت عائشة الى السرير الذى رقد عليه « ليو » وجذبت الغطاء لتنظر الى وجهه . سمعت صرخـة

ملوية ورايتها تسقط الى الخلف كما لو انها صعقت .. !

**قالت** : ما الأمر يا عائشة ؟ أهو ميت ؟

**قفزت نحوى كحيوان غاضب** : يا كلب ؟ لماذا اخفيت عنى هذا ؟ ها هنا يرقد « كاليكريتس » الضائع الذى جاء الى فى النهاية !!

ثم بدات تبكى وتضحك .. مثل أية امرأة أخرى فى لحظة سعادة كبرى ..

**قالت** : اذا لم تفعلى شيئا تساعدين به رجلك « كاليكريتس » فانه لن يلبث أن يضيع ولن تنفعه مساعدة ..

أخذت وعاء من تحت ثوبها **وقالت** :

ـ صب هذا فى فمه .. بسرعة ! .. انه يموت . !!

كان هذا هو الوقت الملائم فقد كان وجه « ليو » رمادى اللون . وبدات انفاسه تهوى وسقط فمه مفتوحا وامسكت عائشة براسه وصبت السائل فى فمه .

وطرأ عليه تغيير طفيف اصبح وجهه ازرق ؛ وبدأت ضربات قلبه التى كانت ضعيفة قبل هذا ، بدت وكأنها تتوقف . ونظرت الى عائشة .. كانت ما تزال تمسك برأس « ليو » .. وكان وجهها ابيض وعيناها عميقتين كبحار الحب والخوف .. وكانت لا تعرف اذا كان سيعيش أم سيموت ..

ومرت خمس دقائق . ورايت انها تفقد الأمل..
قلت : هل تأخر الوقت ! ؟

اخفت وجهها بيديها ولم تقدم اجابة .

ثم سمعت نفسا يجذب بعمق ورايت حين نظرت الى اسفل خطا من اللون يظهر فى وجهه بطيئا .

همست : لقد انقذ !

وبدأت تبكى كما لو كان قلبها قد بدأ يتفجر ثم توقفت .

ـ سينام اثنتى عشرة ساعة .. وعندما يستيقظ سيكون المرض قد تركه !

ووضعت يدها على رأسه ولمست شعره الذهبى .. ثم قبلته برقة بالغة ووقفت !

# ( ٢٢ ) اذهبى يا امرأة !

وقفت عائشة لحظة ثم جاءتها فكرة ..

**قالت** : كدت أنسى ! .. هذه المراة « أوستين » .. ما هى بالنسبة الى « كاليكريتس » ؟ أهى خادمته ؟

ــ ان الذى أفهمه هو أنها ، بالنسبة لتقاليد

شعب الأحجار تعتبر زوجته ، ولكنى لست أدرى ..

واسود وجهها من الغضب **وقالت** : واذن فانها يجب أن تموت !

**صرخت قائلا** : لماذا ؟ لماذا ؟ ! ماذا ارتكبت من خطأ ! ؟؟ أم تراك ستظهرين سعادتى بعودة « كاليكريتس » بأن تقتلى شخصا يحبه .. تقولين انك فى الماضى قد ارتكبت شيئا خطيرا الى هذا الرجل ، وانك بيديك قتلت هذا الرجل بسبب « آمنارتاس » المصرية التى أحبها .

ـ كيف عرفت هذا ؟ .. لم اقل لك هذا أبدا !

وكانت هذه مفاجأة لى !! فأنا لم أقل شيئا أبدا عن الصندوق الحديدى والأشياء التى يحتويها .

**قلت** : ربما جاءتنى هذه الأشياء فى الحلم ..

ولكنها لم تكن تصغى الى .. ووقفت صامتة لحظة ، **ثم بدت كأنها تفكر بصوت مرتفع** : « نعم

ساسلك سلوك الرحمـة .. فلست امرأة قاسـية ولا أحب ان ارى الآخرين يتعذبون او ان اكون سـببا فى ذلك » .

ثم استدارت الى **وقـالت** : دعها تاتى بسرعة قبل أن اغير رايى !

وخرجت بسرعة الى الممر وناديت « أوستين ».. فجرت نحوى **وقالت** :

ـ هل مات سيدى ؟ قل انه ليس ميتا !!

ـ انه حى . « هى » قد إنقذته ..

وهوت « أوستين » على يديها وركبتيها عندما وجدت نفسها أمام عائشة ..

**قالت عائشة فى ابرد صـوت لها** : قفى ! .. تعالى هنا .. من هذا الرجل ؟ !

ـ انه زوجى . أخذته بناء على عادات شعبى يا مليكتى !

ـ لقد فعلت فعلا شريرا بأن اخـذت هـذا الرجل الذى هو غريب عن البلاد .. انه ليس واحدا من شعبك .. والقاعدة لا تنطبق عليه . عودى الى مكانك ولا تجسرى مطلقا على الكلام معه أو رؤيتـه مرة أخرى .. اذهبى !!

ولكن « أوستين » لم تتحرك ..

ـ اذهبى يا امراة !!

ورفعت « أوستين » راسها . **وقالت :**

ـ كلا لن اذهب .. انه زوجى وأنا أحبه ولن اتركه وليس لك الحق فى أن تأمرينى بترك زوجى !

**وقلت انـا :** الرحمة يا عائشة الرحمة !!

**قالت عائشة ببرود :** لو لم تكن عندى رحمـة لكانت الآن من الأموات .. اذهبى يا امراة .. قبل أن ادمرك !!

ـ كلا لن اذهب .. انه رجلى .. رجلى انا .. لقد أنقذت حياته .. لن اذهب أبدا .. ابدا !!

وخطت عائشة خطوة نحوها بهذه السرعة التى لم استطع أنـا رؤيتهـا .. ويبدو لى أنهـا ضربت « أوستين » بخفة على راسـها بيدها .. ووضعت الفتاة يديها على راسها وسقطت الى الوراء .. ونظرت انا اليها واطلقت صرخة ، ذلك انه هناك فوق شعرها الداكن ثلاث من علامات الاصبع ، بيضـاء كأنهـا الثلج ..

وضحكت عائشة : أتظنين أيتها الفتاة الطائشة أننى لا استطيع أن اقتل ؟ انظرى فى هذه المرآة .. ثم اذهبى الآن قبل أن أضربك مرة ثانية !!

ونظرت « أوستين » فى مرآة « ليو » المعلقـة على الحائط .

ـ لو رأيتك مرة أخرى فستكون عظامك أكثر بياضا من العلامات فوق رأسك !

وخرجت الفتـــاة المسكينة من الغرفــة وهى تجرى .. واستدارت عائشة نحوى **وقالت :**

ـ ســـأنبىء خـدمى أن يحمـلوا ســـيدى « كاليكريتس » الى غرفة بالقرب منى حتى أستطيع أن أسهر عليه حين يستيقظ .. وستأتى انت ايضا . ومعك خادمك .. ولا تقل « لكاليكريتس » كيف ذهبت هذه المراة ولا تقل الكثير عنى !

وخرجت ، وبعد ذلك بقليل جاء الخدم لينقلوا حوائجنــا ..

# ( ٢٣ ) حفـلة الرقص •

جاءت اللحظة التى رأت « عائشة » أن « ليو » سوف يستيقظ فيها **وقـالت :**

ـ سترى يا « هوللى » أنه عنـدما يسـتيقظ سيكون المرض قد تركه .. !

واذ قالت هذا كان « ليو » قد اسـتدار وفتح

عينيـه .. وقـال لتوه اذ لمح « عائشـة » : هاللو « أوستين » .. لمـاذا غطيت راسك هكذا ؟ ! .. هاللو « جوب » .. الى ماذا وصل بنا الحال . ! ؟

**فقـال « جوب »** : لا أعـرف فى الحقيقـة يا سيدى .. ساذهب واحضر لك بعض اللبن . !

ونظر « ليو » مرة اخرى الى « عائشة » **وقـال :**

ـ ليست هذه « أوستين » .. أين « !وستين »؟

**قالت « عائشة »** : لقد ذهبت وانا الآن مكانها !

وبعد ذلك بقليل خر « ليو » نائما من جديد ..

وفى اليوم التالى كان بخير تقريبا وكان جرحـه قد اندمل .. وظلت « عائشة » تعنى به .. ولكنـه استمر يسأل عن « أوستين » .

وكان شديد الفضـول حول « عائشة » وطلب كثيرا أن يرى وجهها .

ومع أنى لم أقل شـيئا فقد اعتقد أنها كانت السيدة التى تكلم عنها الابريق المحطم .

وفى اليوم الثالث ، بعد أن انتهينـا من تنـاول الافطار ، ذهبنا الى غرفة « عائشة » كان « ليو » يريد أن يقدم اليها شكره على انها عملت على شفائه.. ولكى يسألها عن « أوستين » ..

قالت « عائشة » : احييك .. كما انى سعيدة لرويتك بخير من جديد !

انحنى لها « ليو » ثم شـكرها من جديد على ما فعلت .. وقال لها هذا بأفضل ما لديه من صيغة عربيـة .

واجابته هى قائلة : ارجو أن يكون خدمى قد

بذلوا أقصى وسعهم للعناية بك .. أهناك شيء يمكن أن افعله من اجلك .. ؟

قال « ليو » : نعـم اريد ان أعـرف أين هى السيدة ، أعنى « أوستين » التى كانت معى ..؟

فقالت « عائشة » : آه .. نعم .. الفتاة .. نعم لقد قالت انهـا ذاهبـة .. ولقد رتبت الأمور لاجراء حفلة رقص مساء اليوم .. ربما راقك ان تحضرهـا .. لكن دعنى اولا اعرض عليـك بعض عجائب الكهوف والمغارات ..

لم يكن « ليو » يسـتطيع ان يلقى المزيـد من الأسئلة .. وارسلت « عائشـة » خادمتين ليحضرا المصابيح ويرشدا الى الطريق . وعرضت عليه الكتابة المدونة فى الكهف الكبير ، وعلى الحجر المستدير ، وفى المكان العميـق .. وعرضت عليه أيضـا الكثير من الموتى المحفوظين فى الكهوف .. وكان « ليو » طبعـا شديد الانبهار بكل ما رآه اما « جوب » فقد أصابه الرعب .

وبعد أن تناولنا وجبتنا بقينـا قليلا تم عندما جاءت الساعة السادسة ، عدنا الى غرفة عائشة .. وكان « جوب » ما يزال مرعوبا اذ جعلوه ينظر الى

« صــور موجودة فى المــاء » .. ثم جــاء « بلال » ليخبرنا بأن الرقص على وشك ان يبدأ .

كان الرقص سيدور فى الهــواء الطلق فى المكان الفسيح الواقع أمام المغارة .

وكان الليل يوشك أن ينسدل .. وتساءلت انا عما يمكن ان نكون قادرين على رؤيته من الرقص .

وفجاة راينا رجالا يعدون من كل مكان حاملين أشياء تشتعل فوق اكتافهم .. ثم اخذوا يلقون هذه الأشياء فى اكوام وسط المكان الفسيح . وكان « ليو » أول من اكتشف حقيقة ما يحملون .

صاح قائلا : يا للسماء . ! هذه الأشياء المشتعلة هى أجســام الموتى .. تلك الجثث المحفوظــة التى رأيناها .. وهى التى تحترق كالشمع . !!

وكان نور الاضاءة قد أعد .. وجاء الراقصون . كان هنــاك حوالى مائة رجــل ومائة امرأة . جاءوا

صامتين يسيرون فى صفين . واديت الرقصة فى سكون تام .. وبدا وكأنها رقصة تروى قصة قتل مرعبة ! . ولكنى لم أفهمها تماما . كانت كلها قصة بشعة رديئة !!

ثم رأيت ما بدا وكأنه قرد أو سعدان يمشى حول النار ، ثم جاء أسد ، ثم قطعان من الماشية وصفوف من الظبيان وحيوانات النهر وثعبان كبير وكان كل هؤلاء بشرا . يرتدون جلود الحيوان . ولما اجتمع جمعهم بداوا يرقصون ويحدثون أصواتهم الحيوانية المختلفة ..

وسألت « عائشة » عما اذا كان يمكننى أن أذهب انا و « ليو » نتمشى قليلا حتى نستطيع أن نرى الحيوانات عن قرب ..

وبدأنا ندور من جهة اليسار ..

ولاحظت أن احدى الراقصات كانت لبؤة خفيفة الحركة نشيطة قد فصلت نفسها عن الراقصين

وفجأة أخذت هذه الراقصة تجرى أمامنا فى الظلام البعيدة . وعندما مرت بنا سمعنا كلمة « تعال ! » .. وكان هذا صوت « أوستين » .. !

واستدار « ليو » على الفور وتبعها ، وسرت أنا وراءه وقد اثلج اطرافى خوف شديد من هذا الاجتماع !!

**وسمعتها تهمس** : يا للسماء .. ! اسمع .. انى أعيش فى خطر على حياتى من هذه ـ التى ـ يجب أن تطاع .. الم يخبرك « السعدان » كيف طردتنى ؟ لقد أنقذت حياتك مرة .. وانت لن تتركنى الآن وتتخلى عنى !!

**فقال « ليو » على الفور** : كلا .. طبعا !

ـ هناك شىء واحد نفعله . يجب أن نهرب !! خلال الأرض المنخفضة !! يجب أن نهرب بسرعة !! بل انها ربما تسمع الآن أصواتنا !!

وألقت نفسها بين ذراعيه ، فسقط عنها رأس اللبؤة . ورايت أنا العلامات ، علامات الاصبع البيضاء على شعر رأسها الملتمع فى ضوء النار ثم سمعت ضحكة صغيرة وراءنا ..

كانت « هى » .. ومعهـــا « بـــلال » .. وخادمان . !!

# ( ٢٤ ) السحر .

ساد سكون مخيف ..

**وقالت « عائشة » اخيرا :** « أوستين » ما كان لى أن الحظك لولا اننى رايت تلك العلامات البيضاء على شعرك !

وأبدت اشارة فجاء الخادمان وامسكا بالفتاة

من كل ذراع . وقفز « ليو » الى الأمام والقى بواحد من الرجلين الى الأرض ..

ـ لقد احسنت القاء ذلك الرجل .. ولكن دع الرجـل الآن يفعل ما امرته به .. لن يحـدث اذى بالفتاة على الاطلاق .. ان هواء النيل بارد وسيحملها الى غرفتى ..

وذهبنا الى غرفة « عائشة » وامرت « جوب » و « بلال » ان يذهبا ، **واستدارت الى وقالت** : أكان هذا من عملك ؟

**قـلت** : لا ..

**قـالت** : واذن فالخطـا خطأها . الديك شيء تقولينه يا امراة ؟

ورن صوت « أوستين » غنيا واضحا ..

**وقـالت** : لست ملكة ولا سحر لدى .. ولكن قلب المراة يمكن ان يعرف .. وهنـاك ايضا ضـوء

يومض داخل نفسى وبهذا الضوء فانى أستطيع ان أرى الحق .. عندما عرفت سيدى لأول مرة عرفت ان الموت سيكون ثمن حبى ، ولكن حبى كان أقوى من الموت .. وانا أعلم الآن ، وانا على حافة الموت ، أعلم أنك لن تكسبى شيئا على الاطلاق بقتلى .. انه رجلى ، رجلى ، رجلى دائما .. ولن ينظر اليك فى عينيك أبدا ويدعوك زوجته . أن نهايتك قريبة . انى أرى .. !

وكانت هناك صرخة فزع وغضب ، لقد نهضت « عائشة » ومدت ذراعها نحو « أوستين » ونظرت اليها .. وعندما نظرت بدت عيناها كأنهما نار !! ووضعت « أوستين » يديها على رأسها وأطلقت صرخة واحدة وسقطت الى الخلف هاوية على الأرض . وأسرعت اليها أنا و « ليو » ولكنها كانت ميتة .. !

وقف « ليو » واستدار نحو « عائشة » .. كانت قد رفعت النقاب عن وجهها . وثبتت عينيها اللامعتين العميقتين عليه .. وزال الغضب من وجهه .. ووقف

هنـــاك كأنه تحول حجرا .. ورأيت قوة سحرهـــا تسيطر على ذهنه ، وجمالها يجذب منه قلبه ورأيته يناضل ويستدير كأنه سيهرب ، ولكن عينيها أمسكتا بـــه .

وبدأت تغنى بصوت خفيض ..

وجاء اثنان من الخدم بسرعة الى الغرفة وحملا جثة « أوستين » الى الخارج ..

# ( ٢٥ ) الميت والحى يلتقيان

واستيقظت كأنى كنت فى حلم .. لقد توقفت « عائشة » عن الغناء ..

تحركت « عائشة » وأعطت « ليو » مصباحا .. وتبعناها .. وقادت الطريق هابطة من سلم ، وكان السلم شديد التآكل .

قــالت : لقد ابلى وقع خطواتى ، طيلة الفى عــام ، هذا الصخر !

وذهبنا بطول ممر وجئنا الى ســتار لم اكن قد رايته قبل الآن .. وقالت :

ـ لقد رقدت هنا ، ليلة بعد ليلة ، منذ ذلك اليوم .. هنا حيث يرقد . تعال يا من املكه وانظر الى هذا الشيء الرائع .. انظر نفسك يا «كاليكريتس» كما راقبتك كل هذه الأعوام !

وجذبت القماش عن الهيكل الراقد على الصخر البارد .

ـ انظر كيف يلتقى الحى مع الميت .. !!

وامامنا رقد لابسا الأبيض ومحفوظا حفظا كاملا ما بدا لنا انه جسم « ليوفينسى » ونظرت أنــا الى « ليو » ، واقفا هناك حيا و « ليو » راقــدا هناك ميتا ، ولم استطع ان أرى اختلافا .. !

وقف « ليو » ينظر الى هـذا الشيء ولم يقل شيئا . ثم همس قائلا : غطه !

قـالت : انتظر .. ان عملى الشرير لا ينبغى ان يخفى عنك افتح الغطاء فوق الصدر يا « هوللى » !

وازحت القمـاش جانبـا . وهنـاك ، فـوق القلب ، كان يظهر اثر من جرح حربـة .. وقـالت « عائشة » :

ــ لقد قتلتك .. وكان ذلك فى « مكان الحياة » بسبب المرأة المصرية « أمينارتاس » .. ولكن هـذه الجثـة الباردة الآن ليست الا ذكرى .. لقـد انتهى عملهـا .. .

واخـذت جرة كبيرة من رف عـال . ونزعت الغطاء وقبلت الوجه البارد . ثم صبت السائل من الجرة فوق الجسم . وصعد دخان كثيف فملأ الكهف كله حتى لم نستطع أن نرى شيئا . وعندما تفرقت السحب أخيرا وذهبت بعيداً عن المكان الذى كانت فيه الجثة راينا فقط كومة من الرماد الأبيض !

**قـالت** : الآن اتركنى ونم لأننا سيكون علينـا ان نذهب عند المساء فى رحلة طويلة .

ولست ادرى كيف وصلنا الى غرفتنا .. وعندما وصلنا سقط هو على سريره وكاد يبكى ..

**وقـال** : لم أكن مستطيعا أن أمضى .. ولم أكن مستطيعا ان اتركها .. قدماى لم تستطيعا حملى ، وكان ذهنى صافيا وكنت اكرهها داخل عقلى ، او على الأقـل فانى اظن ان الأمر هـكذا . ولكنى اعلم انى سأفعلها غدا مرة ثانية . وانا واقع فى قبضتها الى الأبـد !

وانا ايضا رأيت « عائشة » بلا قناع . ولم ادر بماذا أجيب .. وأعلم ان ما قاله كان صادقا ..

# ( ٢٦ ) خطــة عائشــة

فى اليوم التــالى ذهبت أنا و « ليو » فى جولة طويلة ، فشاهدت شعب الأحجار يعملون فى الحقول . . كان البعض يلقون البذور من أجولة معلقة على أكتافهم ، كما كان الرجال فى انجلترا يفعلون منذ مئات السنين . لقد كان أمرا مريحا للنفس أن يرى المرء مجموعة من

الناس البسطاء يفعلون اشياء بسيطة . وتكلمنا قليلا .

وبعد تناول وجبتنا خرجت وسرت من جديد وعندما عدنا قابلنا « بلال » وأمرنا ان نذهب لرؤيتها.

وعندما انصرف الخدم طلبت الينا « عائشة » ان نجلس ثم **قالت :**

ـ يا كاليكريتس ، قبل أن نصبح رجلا وزوجته يجب أن تصبح مثلى : بلا موت !!

وعجبت ماذا سيحدث بعد هذا .. **واستمرت « عائشة » قائلة :**

ـ سنبدا هذا المساء قبل غروب الشمس .. وبليل الغد سنكون قد وصلنا « مكان الحياة » .. وهناك ستستحم فى النار وتخرج منها كما لم يخرج رجل من قبل ابدا .. !

ولم استطع ان اسمع ماذا أجاب « ليو » على هذا المشروع المثير **ومضت فقالت :**

ـ وأنت يا « هوللي » .. لقد اسعدت قلبي باعمالك ولذلك فسوف تجيء معنا .. !

لم يكون بي رغبة ان أجعل حياتي أطول مما اعدته الطبيعة ولكنى لم اقل شيئا . وساد بعض الصمت ثم سالت :

ـ قل لى يا كاليكريتس كيف حدث انك جئت تبحث عنى ؟

فاخبرها بقصة الصندوق الحديدى وما فيه من كتابة ..

وعندما انتهى سالت (( هى )) : واذن فان « امينارتاس » التى كرهتنى هذه الكراهية كانت هى، فى النهاية ، سبب مجيئك الى هنا .. والآن اخبرنى عن بلادك انك طبعا تحب أن تعود اليها .. فانى لا أعنى ان عليك أن تعيش فى كهوف « كور » الى الأبد وانه ليسعدنى أن تتركها .. ستحكم انجلترا .. !

ـ ولكن لدينا ملك وملكة بالفعل !

**فقالت عائشة** : هـذا امر لا يهم فانه يمكن طردهما أو قتلهما !!

وحاولنا أن نفسر لها اننا نحب ملكنا ومليكتنا وانه ليست لنا اى رغبة فى تدميرهما .. ولكن بلا جدوى ..

**قـالت** : هذا شيء غريب ! ملك وملكة يحبهما الشعب . لقد تغير العالم كثيرا منذ جئت الى « كور » . انى لا افهم ما تقول ..

وحاولنا أن نفسر كيف ان بلادنا يحكمها شعبنا وكيف تصوغ قوانينها .. **فضحكت وقالت** :

ـ القانون ! انا فوق القانون..والآن اتركونى.. واستعدوا للرحلة !

وبدا الاجتماع كله كحلم ردىء . وعندما سرت عائدا الى غرفتنا جال فى خاطرى كيف انه يحدث لو كان بلد على رأسه ملك لا يموت ابدا .. اظن ان ذلك يتوقف على مدى ما فى هـذا الملك من طيبة او شر ... !

# ( ٢٧ ) خـرائب كـور

لم تكن الرحلة لتدوم أكثر من ثلاثة أيام ، لذلك اخذنا ثيابا نظيفة وحملنـا بنادقنـا . وعند غروب الشـمس ذهبنـا الى غرفـة.« عائشـة » ووجـدناها مستعدة تماما . وعند فتحة مدخل الكهف كان هناك في انتظـار « عائشـة » مقعد وستة رجـال ومعهم « بـلال » . اما نحن الآخرون فكان علينا ان نمشي ولم يكن يراقبنا احد ونحن نبدا السير .. واعتقد

أن كل الناس قد امروا بالابتعاد حتى لا يعرف إحد اننا قد رحلنا .

ثم قطعنا الطريق عبر الوديـان التى كانت مرة قاع بحيرة . وبعد أن ظللنا سائرين حوالي نصـف ساعة اقتربنا من خرائب مدينة « كور » القديمة ..

كانت الشمس تغرب عندما وصلنا المكان وسرنا عبر قنطرة تقودنا الى المدينـة .. واذ وقفت على الجسر نظرت الىاسفل حيث تمتد اميال من الخرائب: منازل الأغنياء الكبيرة .. ومنازل الفقراء الصغيرة .. والحدائق التى زادت فيهـا النبات عن طوقهـا .. والطرقات المتقاطعة .. والميادين المربعة والأسقف التى آلت الى الانهيـــار .. وكانت الأشـجار والأعشاب الكبيرة قد انبثقت الآن من-بين الأحجار الكبيرة التى مدت فوق الطرقـات ؛ الا ان المرء كان يستطيع أن يتصور شكل ما كانت عليه الأشـياء .. فى ضـوء الشمس الأحمر وهى تغرب ..

كان فى وسط المدينة بناء جد كبير .. وكانت

حوله عدة اروقة ، الواحد منها داخل الآخر .. كان هذا مكان الآلهــة التى يعبدها شــعب « كور » .. ووقف خدم « عائشة » فى مدخل هذا المبنى المركزى.

**وقالت « عائشة »** : يوجد هنــا مكان لكم أن تقضوا فيه الليل . ومنذ الفى عــام جئت هنا انــا وكاليكريتس والمراة المصرية .. لعل هــذا المنزل قد هوى منذ ذلك الحين .

وصعدت ( هى ) بضع خطوات فى الممر الخارجى ونظرت فيما حولها **ثم قالت** : « انه هنا » !!

وصعدت ( هى ) الى حجــرات كانت محفورة بداخل الحائط .. ودخلنا .. وتناولت انا و « ليو » و « جوب » وجبة طعام ، واكلت « عائشة » بعضــا من الفاكهة ..

**وقالت « عائشة »** : لقد اتيت بكم هنــا حتى يمكنكم أن تروا القمر يسطع فوق خرائب « كور » .. وعندما تتهياون سنخرج ونشاهد اطلال هــذا المكان

ونرى رب شعب « كور » الذى كانــوا يعبدونه فيما مضى .

ومررنا فى بهو بعد بهو .. اخذ كل منا يهمس الى الآخر .. وسط السكون ، بين قاعات بلا إسقف وامام نوافذ عالية يضيؤها القمر .. وسقط الضــوء الأبيض على السكون المنقطع الأنفاس لا يقطعه الا صوت خطواتنا .. ودقيقة بعد دقيقة ظلت الأشباح الصامتة تتحرك عبر الأفنية التى نمت فيها الحشائش ..

قالت « عائشة » اخيرا : تعالوا وسأريكم اعظم روعة فى المكان .. سأريكم الربة التى عبدها شــعب « كور » !

ودخلنا الى أقصى الأفنية فى الداخل وفى وسطه كان مربع كبير من الصخر وفوقه كرة من حجر اسود عرضها عشرون قدما .. وينهض فوق الحائط تمثال يصور امراة ذات اجنحة منبسطة مصنوعة من الحجر

الأبيض الصافى .. كانت ذراعاها ممدودتين وعيناها عليهما نقاب .

**ســألت :** من هى ؟

**قالت « عائشة » :** الا تستطيع ان تخمن ؟

وقادت جماعتنا الى قدم التمثال **وقرات الكتابة المحفورة فى الصخرة :**

اجذب النقاب وانظر الى الحق ..

وجها لوجه ولكن الموت نفسه ..

هو الذى يمكنه أن يجذب النقاب ..

**وقالت « عائشة » :** كان الحق هو الهــة شعب « كور » !

# ( ٢٨ ) داخل جبل النار

فى اليوم التالى استيقظ الخـدم قبل ان يظهر ضوء النهار ، ووجدنا « عائشة » مغطاة بمعطف داكن اللون ، تنتظرنا فى الخـارج ولاحظت أنها بدت اكثر حزنا وقلقا . .

**سالها « ليو »** : هل نمت جيدا ؟

**قــالت** « هى » : يا كاليكرايتس لقــد دهمتنى احلام رديئة ولست ادرى ماذا تعنى هــذه الأحلام .. ولكن كيف يمســنى اى شر ؟ انى اتســاءل .. اذا ما حدث لى شيء أتراك تفكر فى برقة .. ؟

ولم تنتظر اجابة .. وسريعا ما تركنا المدينــة المخربة وراءنا .. وعند منتصف نهار اليوم توقفنــا لراحة قصيرة وتناول وجبــة طعام .. وفى الساعــة الثانية كنا عند سفح جدار عال من الصخرة ينهض حوالى الف وخمسمائة قدم .

**قالت** « عائشة » : ان الناس يسمون هذا المكان جبل النار .. ولكن أحدا لا يجرؤ أبدا على الاقتراب منه ونحن نترك الخدم هنا .. وانت يا « بلال » امكث معهم .. ولك ان تنتظر تحت هذه الأشجار هناك .. ونحن سنعود الى هنــا غدا عند الظهر .. واذا لم نحضر فعليك أن تنتظر .

واشــارت هى الى « جوب » **وقــالت** : هــذا

الرجل من الأفضل ان ينتظر .. الا اذا كانت لديه الشجاعة الفائقة .. ان اسرار المكان الذى سنذهب اليه ليست للأعين العادية .

قال « جوب » عندما سمع هذا : لا استطيع ان ارى الآن ابشع مما رايت .. ولا احب ان تتركونى هنا مع هؤلاء الناس الذين لا يستطيعون ان يقولوا كلمة .. وقد يضعون القدر على راسى .. انى افضل ان آتى معكم !

قالت « عائشة » ، عندما اخبرتها باجابة « جوب » : حسنا .. دعوه ياتى ! .. دعوه يحمل اللوح الخشبى !

واشارت الى لوح خشبى يبلغ طوله خمسة عشر قدما قد ثبت فى المقعد الذى حملت فيه « عائشة » .. حمل « ليو » الطعام والشراب وحملت انا المصابيح وكذلك وعاء الزيت .. وذهب « بلال » والخدم ..

واستدارت « عائشة » ونظرت الى التل ..

هــذا ؟ !

وقلت انــا : يا لله .. انحن ذاهبون لنصعد

وتقدمت « عائشـــة » ، قافزة من صخرة الى صخرة بخفة رائعة ورشاقة كبيرة ، ونحن طبعا كن علينا ان نتبع وأن نساعد « جوب » وهو يحمل لوحه ويمضي ..

وسريعا ما وصــلنا الى رف ضيق من الصخر وكان يزداد سعة عندما سرنا فيه .. الا ان طرفـــه الخارجي اصبح اعلى واعلى وفجـاة انتهى هـــذا الممر فى كهف الى اليمين .. وكان كهفا طبيعيا وربما كان نتيجة انفجار غازى كبير ..

امرتنى « عائشة » أن أشـعل المصباحين وأن اعطيها احدهما ، ثم قادت الطريق هابطـة الى الكهف متخيرة الطريق بحرص شديد .. فقد كانت هنـاك احجار كبيرة وفتحـات يمكن للواحد ان يدق فيهـا عنقـه .

ومضـينا قدما فى هذا الطريق لعشرين دقيقـة

او اكثر ثم وقفنا .. واذ حاولت ان انظر امامي في الظلام هبت ريح قوية واطفأت المصباحين !

نادت علينا « عائشة » ، وتحسسنا طريقنا الى الأمام ورأينا امامنا شقا كبيرا في الصخور .. كان ضوء النهار يضيئها اضاءة ضعيفة من اعلى ، وسقطت الصخرة بعيدا هابطة في الظلام ولم نستطع ان نرى الجانب الآخر من العتمة .. ولكن انزلقت الصخرة التي كنا واقفين فوقها الى الأمام حتى نقطة بالغة الضيق في مقدمتها .. كنقطة سن القلم !

قالت « عائشة » : اتخذوا الحذر !! لا تنظروا الى اسفل او تتركوا الريح تقتلعكم فان هذا المكان لا قاع له !!

وبدأت تسير بحذاء النقطة النهائية المستدقة تاركة ايانا نتبعها وكنا أول العابرين لها .. وكان « جوب » ورائي يشد اللوح على الأرض و « ليو » في النهاية .. وقبل ان امضي بضع ياردات وجدت ان من الأفضل ان اسير مرتكزا على يدي وركبتي ..

وفعل الباقون مثلى .. وقــام « ليو » بمساعـدة « جوب » فى جر اللوح . ولكن « عائشــة » نهضت واقفة ضاغطة جسمها ضد الريح . وبدت لا تشعر بخوف أبدا ..

وسرنا عشرين يـاردة ازاء الجسر الرهيب .. وفجأة هبت ريح قوية مندفعة الى الكهف . ورايت « عائشة » تقف ثابتة ضـدها وفى مواجهتها .. ولكنها خلعت معطفها وعرضته للريح العاتيــة التى حملته بعيدا كطائر لا حول له ولا قوة . وامسكت أنا بالصخرة التى بدت تهتز من تحتى .. وهنــاك ركعنــا ، بين الأرض والسماء ولا شيء تحتها ســوى الخــلاء .. بينما اندفعت الريح القوية من فوقنا بسحب دخانيــة مندفعة لازلت احلم بها واستيقظ من نومى والرعب يبتردنى حتى الآن !

صرخت « عائشة » وهى واقفة الآن مثل روح بيضــاء امامــــ وقــالت : اماما !! اماما !! أو انكم ستسقطون وتتقطعون قطعا .. ! .. ابقوا اعينكم على الأرض وامسكوا جيدا بالصخر !!

# ( ٢٩ ) الحجـر المتـأرجح

وهكذا ذهبنا مسافة لا ادرى كم كان طولها حتى جئنا اخيرا الى ابعد نقطة من الصخر . وهنـاك بقينا ممسكين بأصابعنا فى الأرض بينما وقفت « عائشة » وشعرها يتطاير فى مواجهة الريح . والآن رأيت لمـاذا أخذنا معنا اللوح الخشبى ..

كان أمامنا مكان خال ، وعلى الجانب الآخر شيء لم اتمكن من رؤيته ..

قالت « عائشة » : يجب ان ننتظر فسريعا ما سيطلع الضوء !

لم استطع ان اتصور ماذا تعنى فكيف يكون هناك ضوء فى هذا المكان السفلى المظلم ؟

وبينما كنت لا ازال افكر فى هذا الأمر واذا بسيف كبير من ضوء الشمس الغاربة يومض خلال الظلمة الى هذه النقطة من الصخرة . واضاء هذا النور الذهبى « عائشة » كلها بكل جمالها وروعتها ..

انه هذا الشعاع من الضوء هو الذى كانت تنتظره « عائشة » .. لقد دبرت اننا ينبغى ان نصل فى الوقت المناسب . ورايت على بعد اثنى عشر قدما من الصخرة ، على الجزء الآخر ، حجرا شبه بيضاوى ، طوله عشرون او ثلاثون قدما واقفا على ابرة من الصخر قائما بارزا فى الظلام .. واذ هبت الريح رايتها

تهب اماما وخلفا ، وهكذا بالضبط رتبت بحيث اشفقت ان تهب هبة ريح أقوى قد تستطيع ان تلقى بها وتسقطها ..

وقالت « عائشة » : هيا سريعا احضروا اللوح .. يجب أن نعبر بينما الضوء قائم باق .

قال « جوب » وهو يدفع اللوح امامه : يالله .. انها طبعا لا تعنى ان نمشى هناك فوق ذلك الشىء ..

دفعت « عائشة » باللوح تخرجه بحيث استقر طرف منه على الحجر البيضاوى الشكل ، والطرف الاخر على نقطتنا من الصخر ..

وقالت : منذ كنت هنا اخيرا فان هذه الصخرة لا تبقى ثابتة ولذلك فانى غير متأكدة انها ستتحمل وزننا ولذلك فسأذهب أولا .. !

وجرت بخفة عبر الجسر وقالت هى من الطرف الآخر : انها آمنة . سأقف . سأقف عند الطرف

القصى بحيث لا يستدير الحجر تحت وزنكم . والآن تعال يا « هوللى » ان الضوء سريعا ما يزول ..

وهبطت على ركبتى .. وشجعتنى « عائشة » قائـلة :

ــ طبعا انك لا تشعر بالخوف .. والآن اعط مكانا لكاليكريتس !

وقلت لنفسى : انى لأفضل ان اسقط هنا حتى لا تضحك منى عائشة !

وشعرت باللوح يكاد يضعف تحت وزنى . وأنا كثيرا ما كنت اكره المرتفعات .. وبدا ان عينى تتحولان الى سـواد وظلمة .. وشعرت بالبرودة تسرى فى كل انحاء جسمى . وبدأت قدماى وذراعاى يتحركان دون ارادة منى . واخيرا وجدت نفسى نائما على الصـخر الذى كان يتارجح تحتى مثل قارب فى بحر عاصف !

وجـاء « ليو » جاريا عبر الجسر كمـا لو كان



كانت الصخرة تتارجح تحتى ..

يمشى على الحبال . ومدت « عائشــة » يدهــا له وقــالت : هذا عمل شجاع !

وكان « جــوب » الآن على يديه وركبتيــه فى الناحية الأخرى من اللوح وقــال : لا أجسر ان أفعل هــذا !

وصحت به : تعــال يا « جوب » .. لو بقيت هناك ستموت وحدك فان الضوء يتلاشى ..

وقــا « ليو » : تعال يا « جوب » .. انه أمر بسيط جدا !

وجذب نفسه معتمدا على يديه وكانت رجــلاه متعلقتين بكل طرف من اللوح وعنــدما وصــل الى المنتصف ذهب الضـــوء وصرخت قائــلا : تعــال يا « جوب » ! ..

وكان الحجر الذى رقدت عليه يتأرجح ويتأرجح بحيث أصبح من الصعب تثبيته وهتف « جوب » من

**الظلام :** يارب .. رحمتك !! .. ان اللوح سيسقط !

وفى هذه اللحظـة سمعت اللوح يسقط ضاربا الحائط الصخرى فى طريق سقوطه !

**وتساءلت قائلا :** كيف سنعود أذن .. ؟ !

**وقـال « ليو » :** لست أدرى .. انى شاكر اننا هنا سالمين !

## ( ٣٠ ) نــار الحيــاة

**قالت « عائشة »** : اعطني يدك !

وشعرت كأن أحدا يقودني فوق طرف الحجر . . ومددت رجلي ولكني لم أشعر بشيء .

**قــالت** : دع نفســك !

لم يعجبني هــذا . وشعرت بأني اســقط ثم

استقرت قدمي على أرض صخرية .. وكنت أشعر بالريح تهب من فوقي ولكني في النهاية كنت ما ازال في الهواء الأمر الذي شكرت عليه الله . وسريعا ما جاء « ليو » جانبي ثم جاء « جوب » ..

**وقالت « عائشة » : اشعلوا المصابيح !**

ورايت اننا كنا في كهف صغير ، عرضه حوالي عشرة اقدام وكان سقفه هو الحجر المتارجح . ورايت « ليو » جالسا على الأرض ووجه « جوب » الخائف وهو يجلس جانبه و « عائشة » واقفة هناك بهدوء تنتظر اشعال المصابيح ..

**وقالت** : يمكنك أن تبقى هنا بعض الوقت للراحة .. لقد كان هذا المكان منزلا لرجل حكيم اسمه « نوت » عاش هنا وحيدا وعرف أسرار الطبيعة . اكتشف نار الحياة ، التي سأريكم اياها ! وعظامه ترقد هنا . لم يكن ليدخل النار لأنه كما قال ان الانسان يولد ليموت . لقد جئت الى هذه البلاد قبل وقت بعيد . واخبرني بالسر ثم قابلت

« كاليكريتس » واحببته وقررت ان أجيء هنــا وان أتلقى نعمة العيش الى الأبد لكلينا . وعندما جئت رأيت الرجل العجوز ، « نوت » ، ميتا !

وضعت يدى واحسست ، بالتأكيد ، بين أصابعى باحدى الأســنان وبراس بلا عيون ترقد قرب يدى اليسرى !!

**وقــالت** : نعم هذا هو كل ما بقى من حــكمة « نوت » .. وأنت ، يا « كاليكريتس » عنـــدما لم تسعنى الى النار اخذت الحربة التى تحملها وقتلتك . وبكيت لأننى لا اموت بينما تموت انت . هــاك ! هذا هو الحق !! لم أخف عنك شيئا . قل لى انك تغفر لى ذلك وتغفر لى قتلى لتلك الفتـــاة التى أحبتــك « اوستين » لأنها عصتنى !

**ثم تكلمت ثانية وقالت** : ارفع عنى نقابى .. بلا خوف كما لو كنت أنا مجرد فتاة قرويــة ولست احكم ولا اجمل امرأة رآها العالم .. !!!

كان « ليو » شديد التأثر . لقد ذهب الآن سحر الملكة الغريبة .. فحتى الآن كان واقعا فى قبضتها مثل عصفور امسكت به عين ثعبان . الا ان الأمور قد تغيرت الآن . وادرك انه الآن يحب هـذه المرأة الرائعـة الباهر !! ورايت عينيه تمتلآن بالدموع .. واخـذ يديها وأزاح نقابها جانبا ونظر فى عينيها العميقتين ، وقـال :

ــ « عائشة » .. انى أحبك وانى اغفر لك !

ونزلت على ركبتيها وضغطت يده على قلبها .. وقالت برقة :

ــ فى هذه اللحظة الأولى والرائعـة لحبنا أعدك بانى سـأترك الشر وابحث عن كل ما هو خـير .. وسـيرشدنى صوتك فى ممر الواجب .. ولن ابحث ابدا عن ان اكون امراة عظيمة وانمـا سأبحث فقط عن حبك ورعايتك انت الذى عدت الى اخيرا ..

ووقفت واخذت المصباح وفى نهاية الكهف كان هناك درج ، لم يصنعه الانسان وانما كان مجرد قطع

من الصخور قامت هنا وهناك ليكون منها درج .. وانتهت الى ممر بالغ الانحدار . ومضينا امامنا هابطين هابطين لمدة أكثر من نصف ساعة ... ثم وصلنا الى مكان من الضيق بحيث كان علينا ان نمر فيه واحدا بعد الآخر .. ومنه جئنا الى كهف من الكبر بحيث لم نستطيع ان نرى السقف او الجدران . وعلمنا انه كان كهفا فقط بصـوت خطواتنا وبالهدوء الكامل لما فيه من هواء ثقيل ..

ومضينا امامنا فى سكون وشبح « عائشـة » الأبيض يبدو كأنها روح ترشدنا .. وجئنا الى كهف ثان امامنا . ثم دخلنا كهفا أصغر من الأول ، وكان فى نهايته ممر يخترقه ضوء خافت ..

**وقـالت : هـذا جيد !**

واسرعت امامنا على طول الممر . واصبح الضوء اقوى ، ثم اضعف ، ثم أقوى ثانية .. مثل اشـعة قادمة من منار يضرب بأشعته ليهـدى السـفن فى

البحر .. ومع كل شعاع كنا نسمع صوتا عميقا كانه عاصفة تضرب الصخور !

واستدار الممر حول زاوية ركن .. ويا للسماء!!

كان هذا الكهف الثالث حوالى خمسين قدما فى الطول وثلاثين قدما فى العرض وتغطى ارضه برمال بيضاء .. ولم يكن الكهف مظلما مثل بقية الكهوف الأخرى ، وانما كان مليئا بضوء ذى الوان وردية . وبينما وقفنا فيه نتعجب من أين تاتى اضواؤه حدث شىء غريب وجميل .. فعبر الكهف وبضجيج بدا انه يهز الأرض والذى ملأ قلوبنا خوفا جاء حائط كبير من النيران الملونة المضيئة ذات لمعان يفوق الخيال .. وبدت هذه النيران زهاء نصف الدقيقة واهتز الكهف بصوتها..ثم خبت شيئا فشيئا تاركة وراءها وميضها الملون الذى شاهدناه ..

وقالت (( عائشة )) : تعالوا هنا .. هذه قلب الحياة وهى تضرب صدر العالم !

وتبعناها خلال الضوء الوردى حتى وقفنا امام



المنــارة ..

المكان الذي يضرب فيه ذلك القلب وحيث جاءت النيران . واذ مضينا شعرنا بقوة وحشية رائعة تسرى فينا وهو شعور كنا نحس فيه بأننا نقدر أن نفعل كل شيء وان نجاسر بأى شيء . وشعرنا فى داخلنا ببهجة عالية وبنفس اكثر نبلا مما سبق أن عرفنا قبلا ..

وعاد صوت النيران ودارت حولنا كأنها عاصفة .. ثم جاءت النيران المتعددة الألوان .. وهوينا نحن على ركبنا امامها واخفينا وجوهنا .. بينما وقفت « عائشة » مادة ذراعيها نحو الضوء .. !

**وعندما ذهبت قالت ( هى ) :**

ـ عندما تأتى النيران ثانية يا كاليكريتس يجب عليك أن تقف فى وسطها !

**قال « ليو »** : انى اسمعك يا « عائشة » ولكن اتظنين انها لن تدمرنى بحيث افقد نفسى وافقدك انت أيضا .. ولكنى سافعل ذلك !

وفكرت « عائشة » لحظة ثم قالت : انه ليس من اللائق أن تخاف ، ولكن هل اذا رأيتنى أقف فى النار وأخرج منها دون أذى يمسنى الا تدخل انت ؟.. ساستحم فى حمام الحياة هذا ثانية ! .. ولا يمكننى أن أضيف الى طول أيامى أو الى جمالى .. ولكنى عندما جئتها أولا فقد امتلأ قلبى بكراهية المصريين . و لأمر الآن مختلف وانا الآن مليئة بالسعادة والحب .. وربما كانت النار ستغسلنى وتجعلنى نقيـة نظيفـة وأكثر ملاءمة لك !

وسمعنا صوت النيران العائدة من بعيد ..

وصرخت ( هى ) تقول : استعد ! استعد !!

# ( ٣١ ) عائشـــة فى النــار

وضعت « عائشة » نقابها جانبا واخذ شعرها يتطاير حولها .. واقتربت [illegible] . . ووضعت ذراعيها حول عنق « ليو » وهمست قائلة :

ـ آه يا حبيبى .. اتراك ستعرف كم احببتك ؟!

كان الصوت كأنه ريح عاتية تمرق خلال غابة

كاملة ملقية بأشجارهـا ارضـا . واقتربت وازداد اقترابها . والآن اخذت أسهم من نار تنفذ خلال الهـواء ذى اللون الوردى الأحمـر . ثم ظهر طرف النار ، والتفتت « عائشة » نحوها . وجاءت الريح ، وسارت على هيئتها .. وبدت كأنها ترفعها بيديها ، وتصبها على راسها كالمياه .. ورأيتها كأنها « روح النار » .. ولعبت النار على شعرها .. وحول رقبتها وبدت كأنها سكنت فى عينيها ولم اشهد أبدا مثل هذا الجمال .. !

وفجاة طرا تغير على وجههـا : كانت الابتسامة قد زالت عن شفتيها وحلت محلها الآن نظرة جافـة صارمة .. وبدا الوجه المستدير يصبح حـادا قلقـا غاضبا.. ثم اخذت العيون تفقد ضياءها والجسم كله يصبح اقل استقامة عن ذى قبل ..

وفركت عينى وظننت إن الضوء اللامع قد جعلنى ارى الأشياء على غير حقيقتها وان النار الكبيرة قد اخذت ترحل الآن تاركة « عائشة » واقفة هكذا

خطت خطوة نحو « ليو » ومدت ذراعيها وكان الذراع رفيعا . برزت فيه العظام .. وكان وجهها .. كان وجهها يزداد تقدما فى السن أمام عينى ..

وقالت : ما الأمر يا كاليكريتس ؟ ان النار هنا غريبة بعض الشيء لا استطيع ان ارى بوضوح . ورفعت يدها ، ولمست شعرها .. وسقط شعرها كله على الأرض .. !

وصاح « جوب » : انظر . ! انظر . ! ان وجهها يتغضن ويذبل .. انها تتقدم فى السن سريعا سريعا .. وهوت الى الأرض بلا احساس .

كان الأمر حقيقيا .. رايت جلدها يتغير لونه .. اصبح لونه اصفر داكنا ترتسم عليه ملايين الخطوط وكان صغيرا لا شكل له .. ونامت راقدة على الأرض تتحرك بضعف وموات .. هى التى كانت منذ دقائق قليلة ابهى وافخر امراة وقعت عليها العين فى هذا العالم كله .. ! ؟

كانت تدخل عالم الموت .. ورأينـا ذلك كله وشكرنا الله عليـه .. ذلك لأنها لو كانت بقيت على قيد الحياة فكيف ستكون حياتها .. ؟

ورفعت ( هى ) نفسها فوق عظام يديها ونظرت حولها بعيون لا ترى .. !

**وقـالت** : يا كاليكربتس .. لا تنسـنى .. واشـفق على فى عارى وفضيحتى .. سـآتى مرة أخرى .. وسأكون جميلة مرة ثانية !

وفى نفس المكان الذى قتلت فيه كاليكريتس منذ الفى عام .. سقطت « عائشة » نفسها ميتة .. !

وهويت انا الآخر وسقطت بلا احسـاس على رمال المكان ..

# ( ٣٢ ) قفزة من اجل الحياة

لست اعرف كم ساعة رقدت هناك ، ربما ساعات عديدة .. وفى النهاية فتحت عينى ورايت الاثنين الآخرين يرقدان على الأرض . وقفت واخذت القناع ووضعته على تلك التى كانت فى يوم من الأيام « عائشة » ..

ذهبت الى « جوب » وكان مستلقيا على وجهه

وقلبته وسقطت راسه الى الخلف بشكل لم يبد لى طبيعيا .. ونظرت اليه : كان ميتا !!

واخيرا وقف « ليو » ..

ثم رايت شيئا آخر رهيبا .. كان شعره أبيض فى بياض الثلج وقد كبر عشرين عاما ..

قلت ان « جوب » ميت .. أوه !!! يبدو أن ذهنه ابى أن يتلقى وقع هذا الحدث !!!

ذهبت وملأت المصابيح بالزيت من الأوعية التى جلبناها معنا ..

وفى النهاية وقف « ليو » ثم ذهب الى « جوب » ولمس يده .. واخذ بضع شعرات من راس « عائشة » وضمها الى شفتيه وهمس لنفسه : لقد هتفت بى الا انساها .. ولن انساها ابدا ! .. سانتظرك كما انتظرتنى !

وجدنا طريقنا بلا مشقة للعودة بين الكهوف

بلا مشقة .. فقد حرصت على ملاحظة الممر جيدا ..
وسكننا جميعا ولم يتكلم احد منا اثناء العودة ..

واخيرا جئنـا الى الصخرة المتأرجحة . كان
اللوح قد اختفى ولم يكن هناك غير طريق واحد يمكن
أن نقطعه ونعبره .. ووجب علينا هنا ان نقفز فوقه..

لم أعرف ماذا كانت الساعة الآن فلقد توقفت
ساعتى ورجوت ان يكون الوقت قد قرب من
الغروب .. ورجوت ايضا ان يعود شعاع الشمس
الغاربة .. وجلسنا ننتظر دون ان نعرف ما اذا كان
سياتى ذلك الضوء ومتى ..

وبعد بضع ساعات انبثق خلال الظلام سيف من
شعاع احمر .. **وقلت** : سأذهب انا أولا وتجلس
انت على الطرف الآخر من الحجر لتحتفظ به ثابتا ..

وبعد ذلك فعلت شيئا لم افعله منذ كان « ليو »
صبيا صغيرا .. وضعت ذراعى حوله وقبلته
**وقلت**: وداعا .. وآمل أن نلتقى ثانية !

ثم عدت الى ابعد ما استطعت لأحصل على اكبر مسافة تسمح لى بالجرى وانتظرت حتى جاءت هبة من تلك الريح .. وكان املى فى العبور انها ستساعدنى ..

ثم علمت ، وانا فى وسط الهواء انى قد قفزت قفزة ناقصة .. ان يدى وجسمى فقط قد وصلا الى الأرض وبقيت رجلاى فى الهواء !

ثم سمعت صرخة .. ورايت « ليو » وسط الهواء .. ومر جسمه سريعا من فوقى .. ! وكانت قفزته رائعة حقا .. ولقد حققها مدفوعا بالخوف وبما بدا من فقدان الأمل فى المحاولة .. وقذف بنفسه الى الصخرة حتى وصل الى ومد ذراعه نحوى وسمعت قرقعة عظامه وهو يشدنى نحوه بقوة رائعة شابة .. ورفعنى رفعا حتى استطعت ان اعبر بأمان





وجـذبني الى اعلى ..

الى سطح الصخرة .. وكنا قد تركنــا مصابيحنــا وراءنا طبعا . وكان علينا الآن ان نتحسس طريقنا فى الظلام . ولم نكن قد أكلنا شيئا او شربنا مــاء عدة ساعات وكنا نشعر بالضعف لذلك ..

ورقدنا على الأرض ثم رحنا فى النوم لمدة .. ولست ادرى متى ؟ ! ثم سرنا متحسسين طريقنا قدما بقدم وبوصة ببوصة .. !!

واخيرا عندما فقدنا الأمل تقريبا رأينــا بياضــا خافتا امامنا .. وعندما خرجنا من الكوخ كان الصباح المبكر قد طلع ..

**قــلت** : استمر يا « ليو » .. وأملنا الا يكون « بلال » قد جاء !

وبينما كنا نأخذ طريقنا على أيدينا وركبنــا فوق

الصخور ( ذلك اننا كنا اضعف من ان نشد قامتنا وقوفا ) رآنا احد الخدم وجرى عائدا الى الاشجار ..

ورايت « بلال » يجرى مهرولا نحونا ..

**وصرخ قائلا :** يابنى .. ! .. والأسد .. ! ان شعره ابيض .. ولكن اين الآخر ؟ .. واين هذه التى - يجب - أن تطاع .. ؟

**اجبته :** ماتت .. كلاهما مات .. !!

# ( ٣٣ ) رحلة العودة

عندما استيقظت رايت « بلال » جالسا الى سريرى . وكنت فى كوخ جهزه خدم « عائشة » من اغصان الأشجار . وفى الناحية الأخرى من الكوخ رايت « ليو » لايزال نائما وكان شعره جد أبيض وقد تشققت ذراعه وجرح وجهة بفعل الصخور .. واغلقت عينى مرة ثانية ..

**قال « بلال »** : لقد نمت نوما طويلا !

**فسـالته :** كم كان طويلا ؟

**فاجـاب :** يوما وليلة . اخبرنى ماذا حدث ؟

لم أخبر « بلال » بكل شيء ولكنى انبأته بكل ما هو ضرورى وكنت أستطيع أن أرى أنه لم يصدق أن ( هى ) قد ماتت .. **ومع ذلك فقد قال (( بلال )) :**

ـ لقـد قررت بحكمتهـا ان تتركنـا مدة من الوقت .. ولقد حدث مرة ، أثناء زمن أبى أن غابت اثنى عشر عاما ، كمـا قبل ايضـا انها غابت كذلك اربعين عاما ، منذ زمن طويل .. ثم عادت وقضت على امراة اخرى كانت قد احتلت مكانتها كملكة تحكم شعبنا ..

ولم اقل شيئا .. **وواصل (( بلال )) حديثه :**

ـ والآن ربما تريد ان تغادر هذه البلاد ؟ .. لقد سمعت ان وراء الوادى الكبير .. وبعد رحـلة تستغرق ثلاثة ايام عبر الأراضى الواطئة .. ثم سبعة

أيام بعد ذلك تجد بعدها نهرا كبيرا . لقد انقذت حياتى مرة عندما سقطت فى الماء .. وانا الآن قادر على معاونتك ولكن انظر .. ! ان الأسد يستيقظ الآن .. يجب أن تأكل الطعام الذى أعددته لك !

وظل « بلال » غائبا طيلة اليوم التالى يعد تجهيز الرجال ليحملونا والمرشدين ليهدونا الطريق **وقال :**

ـ انى سآتى معكم لأنى لا اثق بهؤلاء الرجال ..!

ولن اقول شيئا عن هذه الرحلة . وسرنا خلال الأرض الواطئة وجئنا فى النهاية الى واد مفتوح خال من الأشجار وليس فيه علامات على مساكن الناس . كان على « بلال » أن يعود .. **وقال :**

ـ وداعا أيها « السعدان » .. ووداعا أيها الأسد .. لا أستطيع الآن أن أفعل المزيد لكم .. سأذكركم كثيرا .. !

وعاد ووقفنا نراقب صف الرجال وهم يعودون حتى غابوا عن الأنظار .. واخيرا وصلنا الى قرية صغيرة ، وكان الناس فيها ذوى مودة ، وساعدونا أثناء الطريق .. وهكذا جئنا اخيرا الى زامبيزى ووصلنا خليج « ديلاجوا » حيث وجدنا سفينة نقلتنا الى انجلترا ..

وليست هذه هى نهاية القصة .. القصة التى بدات منذ الفى عام .. ولابد أن تصل أيضا الى الأعوام التى ستجىء .. وكثيرا ما اجلس ليلا واحاول ان انظر فى ظلام الزمن الذى لم يولد .. واتساءل أين وكيف سيمضى هذا الزمن .. ؟ !!

# فهرس

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

# مكتبة الأسرة




بسعر رمزى جنيه واحد
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الغموض .. الإثارة .. المغامرة والأحداث السريعة المتلاحقة.. المفاجآت التى تحبس الأنفاس الجولات المثيرة فى ربوع ومجاهل أفريقيا.

هذا هو الطابع العام الذى يميز معظم الروايات والأعمال الأدبية لهذا الكاتب
العظيم.. سير هنرى
مؤلف هذا العمـ
عائشة).